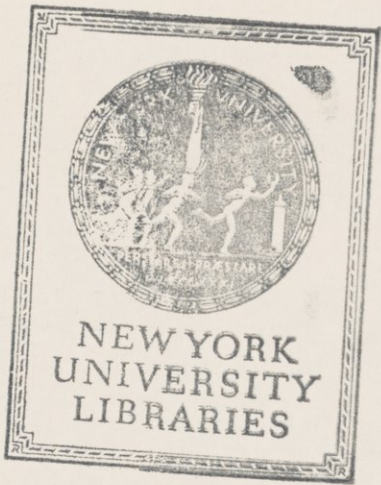


BOBST LIBRARY  
  
3 1142 01778 6859



GENERAL UNIVERSITY  
LIBRARY

---



New York University  
Bobst Library  
70 Washington Square South  
New York, NY 10012-1091

DUE DATE	DUE DATE	DUE DATE
<p>NEW YORK UNIVERSITY BOBST LIBRARY</p> <p><i>1994</i></p> <p><b>JUN JUN 1994</b></p> <p>C I R C</p> <p>70 WASHINGTON SQ. S. NEW YORK, N.Y. 10012</p>		<p>NEW YORK UNIVERSITY BOBST LIBRARY</p> <p><b>OCT 02 1994</b></p> <p><b>REC'D</b></p> <p>C I R C</p> <p>70 WASHINGTON SQ. S. NEW YORK, N.Y. 10012</p>

S

29

+

# جمیل الزہراء اوی

front

S

B

ردولہ فیضان الیوم

THE RAJAH

al-Hānī, Nāṣir

جامعة الدول العربية

معهد الدراسات العربية العالية

/Muhādarāt 'an Jamīl al-Zahāwī/

محاضرات

عن

جميل الزهاوي

مبناه وشعره

ألقاها

ناصر الحانني

[على طلبه قسم الدراسات الأدبية]

١٩٥٤

N. Y. U. LIBRARIES

١٩٥٤

مكتبة جامعة القاهرة  
بمكتب المكتبة العامة بالقاهرة

تاريخ

Near East

PJ

7876

.A35

.Z7

c-1

N. Y. U. LIBRARIES



## مقدمة

هذه جملة محاضرات عن شاعر العراق (جميل صدقي الزهاوى) ، ألقىت على طلبة قسم الدراسات الأدبية واللغوية في معهد الدراسات العربية العالية ، التابع لجامعة الدول العربية ، لا أدعى لها شمولاً لجوانب (الزهاوى) كافة ، لسكنها مدخل قصدت منه إيقاف الطلبة على فنون شعره ، وطابع هذه الفنون ، وتأثره بأحداث زمانه ، وألحقتها بمختار من شعره . وعسى أن ينهض بعض الطلبة الذين أعجبوا به لدراسة الجوانب الأخرى منه كنزعته الفلسفية والعلمية .

ويسعدنى أن تتاح لى فرصة التعرف على أساتذة كنت تواقاً إليهم ، وأن ألتقى بطلبة كانوا مثالا للجد والحرص ، وكان لما أثاروه من نقاش وتساؤل أثر فى هذه الدراسة .

وأسأل الله أن يوفقنا جميعاً لخدمة أمتنا وقرائنا .

ناصر الحامى

القاهرة ١٦ - ١ - ١٩٥٤

تنبيه

صيقاً ، (وهو ما روي عنه رابع) قال ما يحل في وقت اربعة ايام منه  
في الامة غير ما حل لاسلما عليهم في غير ما حل في وقت ايام الامة قبله  
وقال (وهو ما) به ان لا يترك له راحة الا في حال ما قبله من الامة  
منه والى ذلك ، وحيث ان وقت قبله رفقيا منه في شدة راحة له  
من غير ان يرضى ، وحيث ان التخيير له في كل وقت من الامة ، في وقت  
قبله من الامة في وقت لا يترك له راحة الا في حال ما قبله من الامة  
في حال

وهو في الامة من قبله ان لا يترك له راحة في وقت من الامة  
في وقت من الامة ، وهو لا يترك له راحة الا في حال ما قبله من الامة  
في حال ما قبله من الامة في وقت من الامة في وقت من الامة

لذا في وقت من الامة في وقت من الامة في وقت من الامة

١٠١١ - ١٠١٢ - ١٠١٣

في الامة

## الفصل الأول

### حياة الزهاوى وشخصيته

- ١ -

عمّر الزهاوى طويلاً (١٨٦٣ - ١٩٣٦) وعاصر تطوراً امتد إلى البلاد العربية عامة والعراق خاصة، وشهد أحداثاً هزت الإمبراطورية العثمانية والعالم كله. وأسهم بمجمعان الحياة وتيارها الذى انطلق فيه العرب يعملون لفك قيود ثقيلة كبلتهم بها سياسة حارت على ذويها، وعلى من وقفوا أنفسهم لحمايتها والذود عنها.

فلقد شهد أذبال احتلال امتد أكثر من ثلاثة قرون، رزحت فيه البلاد العربية كلها تحت سطوة الإمبراطورية العثمانية، وإن كانت الفترة التى عمرها أعنف وأعسر فترات ذلك الاستعمار، ولا عجب إذا تذكرنا أن الرجل عاصر السلطان (عبد الحميد) الذى لم يغب بعد عن خواطر أبناء هذا الجيل جوراً، وفتكاً بكل حر، وإرهاقه كل مناضل.

وعاصر - بعد ذلك - عهد الدستور فى الدولة العثمانية، ثم عهد الاحتلال البريطانى فى العراق. كما أنه شهد - عندما قارب الستين من عمره - ولادة المملكة العراقية، وعاش نحو خمسة عشر عاماً من سنى حياته الأخيرة تحت ظل الحكم الوطنى فى العراق.

وقد تولى جميل الزهاوى فى كل عهد من هذه العهود الأربعة بعض الوظائف العامة:

فى العهد الحميدى: عين عضواً فى مجلس معارف ولاية بغداد (١٨٨٦)

ثم مديراً لمطبعة الولاية ومحرراً للقسم العربي من الجريدة الرسمية التي كانت تصدر باسم « الزهراء » ( ١٨٨٨ ) . كما أنه عين عضواً في محكمة استئناف بغداد ( ١٨٩٠ ) .

ثم - بعد أن سافر إلى العاصمة استانبول - عين واعظاً عاماً في اليمن عندما رأت الحكومة العثمانية أن توفد إلى هناك هيئة إصلاحية ، بغية استمالة الأهالي ووضع حد للثورات التي كانت تتوالى في تلك الولاية النائية ( ١٨٩٧ ) وفي عهد الدستور العثماني : عين أستاذاً لفلسفة التشريع الإسلامي في « المدرسة الملكية » في استانبول ، ثم أستاذاً للغة في مدرسة الحقوق ببغداد . وانتخب نائباً عن لواء المنتفك سنة ١٩١٤ ، وعن لواء بغداد سنة ١٩١٥ ، واشترك في اجتماعات ومذكرات « مجلس المبعوثان العثماني » عدة سنوات . وفي عهد الاحتلال البريطاني للعراق : عين عضواً في مجلس المعارف ببغداد ، ورئيساً للجنة تعريب القوانين العثمانية .

وفي عهد الحكومة الوطنية بالعراق : عين عضواً في مجلس الأعيان ( مجلس الشيوخ ) ، وبقي في هذا المنصب أربع سنوات ( ١٩٢٥ - ١٩٢٩ ) .

\* \* \*

عاش الزهاوي معظم سني حياته في بغداد . إلا أنه سافر عدة مرات إلى استانبول : كانت الأولى منها سنة ١٨٩٦ ، والأخيرة سنة ١٩١٥ .

وسافر مرة إلى اليمن ، ومرة إلى مصر ماراً بسوريا ولبنان ، كما سافر مرة إلى طهران ، وذلك لتمثيل العراق في مهرجان الفردوسى سنة ١٩٣٥ .

لم يكن الزهاوي يعرف لغة أوروبية . إلا أنه كان متضلعا في اللغتين الشرقيتين ، الفارسية والتركية . ولا شك في أنه استقى معظم ثقافته العلمية والفلسفية من الكتب الغربية المترجمة إلى التركية .

\* \* \*

كان الزهاوى واسع الخيال وشديد الحساسية . كما كان شديد الاعتداد بنفسه ، وكثير الإعجاب بشعره . ولذلك كان ينفعل من الانتقاد ، ويعتبره بمثابة الاضطهاد . وكان يعتقد أنه « ضائع » و « مضطهد » فى بلاده . حتى أنه كان يتوهم فى بعض الأحيان أن حياته معرضة إلى الخطر .

وهذه الحالة النفسية جعلته قلق البال وشديد التألم على الدوام ، وحملته — مرة — على مغادرة العراق إلى سورية ومصر ، غاضباً ؛ ثم اضطرته إلى العودة إليها — بعد مدة قصيرة — مع خيبة أمل ممزوجة بألم مرير .



نظم الزهاوى كثيراً من الأشعار ، والقصائد والرباعيات فى مواضيع متنوعة . ونستطيع أن نقول ، إن قريحته الشعرية تناولت كل شيء تقريباً : من السياسة والاجتماع إلى الغزل إلى العلم والفلسفة — كل شيء تحول عند الزهاوى إلى موضوع لرباعية قصيرة أو لقصيدة طويلة .

وما يلفت النظر أن أشعاره تدل على اتجاه ثابت فى تفكيره المتعلق بشئون العلم والاجتماع والفلسفة ، إلا أنها لا تدل على استقرار فى نظره إلى شئون السياسة . بل بعكس ذلك تدل على « تقلب فى الرأى » ، تحت تأثير العواطف العارضة . لأن الباحث يجد بين أشعار الزهاوى مدحاً للإنكليز من ناحية وتنديداً بالظلم والطغيان من ناحية أخرى ؛ كما يجد نقداً عنيفاً لحكم الأتراك من جهة ، وتحسراً مريراً على عهدهم من جهة أخرى .

أجل تقلب الزهاوى غير مرة فى آرائه السياسية ، إلا أنه فى أمر الإصلاح الاجتماعى ، وفى قضية سفور المرأة ، وفى أمور الفكر بوجه عام ، سار فى اتجاه واحد ثابت على الدوام ، ولم ينحرف عنه أبداً .

إذن ، فإن العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر والثالث الأول من القرن الحاضر . . . وما حدث خلال ذلك من الأحداث في العراق وفي البلاد العربية وفي الدولة العثمانية أو في العالم كله . . . هذه كانت البيئة المعنوية التي عاش فيها ، وتأثر بها ، ونظم عنها جميل صدقي الزهاوى .

ومما يلفت النظر أنه كان في بغداد عندما قامت الثورة العراقية ضد الإنكليز ، ولكنه لم ينظم أو يكتب عنها شيئاً .

ولذلك خرج الزهاوى من الثورة مغضوباً عليه مطعوناً في ولائه لقومه ، لأنه كان قلقاً طوال الثورة التي تكاتف فيها العراقيون ، وقادها كبار رجال الدين والفكر ، وفزعت إليها جماهير الشعب تلبية داعي الوطن . ولم يكن الزهاوى الذي قعد عن الثورة ليلوذ بالصمت بل جره الخطل أو كره العثمانيين - كما ادعى - إلى أن يجهد للبلد حكم الإنكليز ، فنظم قصيدة (١) يمدحهم ويشن على سجاياهم ظلت مصدر طعن وتندر عليه طوال حياته . وليس لنا أن نرمي الرجل بما رماه به أبناء زمانه ونغلو في تجريحه ونقده بعد أن جرت عليه قصيدته البلاء . وظلت تحز في نفسه طوال عمره .

ولما ذهبت إلى الأستانة واختلطت بالترك الفتیان أبعدت بالتجاهر ونشر القصائد بأسماء مستعارة في أمهات الصحف المصرية . وقد ذهبنا في حرب الإنكليز والبوير جماعة من الترك الأحرار تنمى للإنكليز الفوز في محاربتهم وذلك بقرار من الحزب المناوىء لعبد الحميد ، يريدون بذلك أن يعرضهم الإنكليز في طلبهم الدستور . وكنت نظمت لهذه الغاية قصيدة أمدح فيها الإنكليز واشدو بقوة أسطوولهم . وقد نشرت في أول ديواني (الكلم المنظوم) ، وإلى الآن يعينني ناقدى على هذه القصيدة ، ولكن هل كنت يوماً أعرف أنه ستحدث حرب عالمية ، ويحتل العراق ، هذا لم يخظر في بال احد . (٢)

(١) عنوانها ( ولاء الإنكليز ) نشرت في ديوانه ( الكلم المنظوم ) ص ١٤ - ١٦

(٢) رسائل الزهاوى : الكاتب المصرى مجلد ٤ عدد ١٥ سنة ١٩٤٦

وقد شهد الزهاوى الأحداث التي انتابت العراق الحديث ودولته الفتية ،  
 إذ عاصر فيصلا والأزمات التي مر فيها ، وعاش في عهد المعاهدات التي وقعت  
 مع بريطانيا حتى عام ١٩٣٠ ، كما بارك استقلال العراق بدخوله عضوا في  
 عصبة الأمم عام ١٩٣٢ ، واسهم مع المسهمين ، بالمطالبة بتنظيم الحياة النيابية  
 والحزبية في البلد ، ومساواة المواطنين في الحقوق ، ودافع عن المرأة طوال  
 عهد الملك فيصل ، ونعى ( فيصلا ) مع من نعوه من شعراء العربية عام ١٩٣٣ ،  
 وبارك ( غازى ) وحكمه ، ولكنه لم يعاصر الرجل طويلا ، فقد اشتد عليه  
 مرضه وتوالت علله التي لازمته منذ صغره ، فمات وهو في الثالثة والسبعين  
 عام ١٩٤٦ .



تلك الحقبة الطويلة ، والأحداث الجسام التي شهدتها البلاد العربية ،  
 هي مسرح الزهاوى . منها استوحى شعره وبرجاتها تأثر وانفعل . وكان تأثره  
 — إذا استثنينا بعض نزواته — صادقا تأتي عن إدراك ووعى ، فما أكثر  
 ما مرت الأحداث على بعضهم وكأنها لم تمر ، ولك أن تستعرض سيرة حفنة  
 من أدباء العراق وشعرائه سبقوه ، لتعظم الرجل وترى تحرره وجرأته ،  
 وانطلاقه مع تيار الحياة الجديدة . فلقد أقام الأدب ، كما قال هو عن نفسه ،  
 ( على أنقاض عبد الباقي العمرى ، والأخرس ، وكلاهما من الشعراء الوازنين  
 المقلدين ، فلا جزالة في ألفاظها ولا ابتكار في معانيها ) . (١) وهو صادق  
 في حكمه على الشعارين ، وأنت صادق إذا رحمت في حكمك هذا إلى الشعراء  
 الذين عاصروهما . فلقد ظلوا يتلهون بالمدح ، وقلبا انصرفوا عنه إلى سواه .  
 وظلوا يقفون أثر الولاية الأتراك ومن والاهم ، يشيدون بهم ويكبرون  
 مقامهم ، ولم تكن للشعر صورة خلا تقليد الموروث عن كبار شعراء العربية .  
 وخذو قوافيه وتكرار معانيه .

(١) رسائله في الكاتب المصرى ص ٦٣٩ .

لم يسهم الشعر بمعمعان الحياة ، ولم ينزل إلى خلق الله ، بل ظل يستوحى طبقة علا شأنها ، ويجذو العمود الشعري المألوف ، وإن شئت فقل ظل أسود مع الأيام السود التي رزح فيها العراقيون والعرب عامة .

ولو قارنت (الزهاوى) بسلفه ، لبان لك التقارب بين ثقافته وثقافتهم ، ولربما رأيتهم يفضلونه تضلعاً من العربية ومعرفة بها وبعلمها ، التي كان يتثقفها الناشئة أو آنذاك . ولا على أن أتركه يتحدث عن ثقافته الأولى وتريبته .

« ذهبت إلى الكتاب في الخامسة من سنى أو الرابعة ، وبقيت فيه بضع سنوات بليداً لا أتقدم ولا أهتم بخير اللعب أو نظم الأشعار الفارغة من المعانى بعد أن وجدتها وسيلة لنيل الدراهم الموصلة إلى الحلوى ، ولكنني بعد ما انتهيت من جزء (عم) ، أخذت أخطو خطوات واسعة ، فتعلمت قراءة جميع الأجزاء الباقية في شهر واحد ، ولما شبت شرعت أقرأ على بعض العلماء من تلامذة والدى مبادئ الصرف والنحو والمنطق وشيئاً من البلاغة ، فلما رأيتهم لا يشبعون جشعي ولا يقنعوني بأجوبتهم على أسئلتى تركتهم ورجعت إلى والدى ، وقرأت عليه ديوان المتنبي وتفسير البيضاوى وشرح المواقف (١) . « ولا نظنه ثقف من العربية في الدراسة النظامية إن صح التعبير أكثر من هذا ، ولكنه لم يقنع بما عنده شأن غيره ، فقد أقبل على الشعر التركي يقرأه ويتأثر به ، وكان معجباً بشاعر الأتراك الكبير (نامق كمال) . والتفت إلى العلوم العصرية يقف عندها ويثقف ما يقع له منها . ( وأول مجلة لتنتي مطالعتها الأجزاء الأولى من المقتطف ، وأول الكتب في العلوم العصرية هي مؤلفات (فاندريك) في الفلك وغيره ، وكتابان ضخمان في الفسيولوجيا والتشريح مصوران للدكتور (ورتبات) ، وكتب أخرى تركية في العلوم العصرية . «



ولم يكن يعرف لغة غربية، ولكنه قرأ كثيراً مما ترجم عن الغرب. قرأ (البؤساء) (لفكتور هوجو) في التركية ومئات الروايات المترجمة إلى التركية والعربية (لأناتول فرنس) و (شكسبير) و (جوته) و (تولستوى) وغيرهم (١).

كان لاتصال (الزهاوى) بالأدب الغربى، على قلبه، ولتأثره بالأصول العلمية التي عرفها أثر في تحفيزه وبقظته. وكان (للأستانة) وعهده الذي قضاه فيها أثر آخر، نشله من تيار جرف سابقه وابعده عن التقليد، فسمعناه ينحو نحوه الناهض، ويردد نغمات جديدة وألحاناً مستوحاة من الواقع الجديد والحركة الناهضة، فقارع ظلم (عبد الحميد) ونشر القصائد في هذا، وبارك الدستور.

وربما كان أول شاعر في العربية يدافع عن المرأة، ويحدث ضجة كبيرة في مجتمع أكله الجمود على الموروث، ولم يثنه عن رأيه فيها ما جرته عليه دعوته من المصائب.

« وفي ولاية ناظم باشا كانت جريدة (المؤيد) في مصر قد نشرت لى مقالة أذاع فيها عن حقوق المرأة فقامت حول هذه المقالة ضجة كبيرة. وأخذ المتعصبون يرغون ويزبدون ويقذفونى بالسب واللعن. والمهذبون من الكتاب في مصر وسوريه يناصرونى، ولكن التعصب في بغداد كان يومئذ ذا صولة، فلم يسع الوالى غير عزلى من وظيفتى إرضاء للرأى العام، ثم جاء (جمال باشا) عوضاً عن ناظم باشا فأرجعنى إلى وظيفتى. » (٢)

« وعزلت من وظيفتى فى كلية الحقوق بسبب دفاعى عن حقوق المرأة، وأنى أنا الذى نظمت قصة (امرأة الجندى)... يوم لم يكن فى بغداد شاعر

(١) رسائل الزهاوى : ص ٤٥٩

(٢) رسائل الزهاوى : ٦٤١

يُصرّف الشعر في إصلاح المجتمع» (١) وهذا كله لم يثنه عن دعوته ، فقد استنهض القوم ودعا إلى التعليم والتهديب والحرية ، وحث على العلم ، وأوغل في هذا الميدان ، فنظم في بعض الأصول والنظريات العلمية ما لا يحتمله الشعر ولا طبيعته . ولكنتك عاذره إذا عرفت غرضه ، فلقد أراد لبلده نهضة شاملة ، وعز عليه ألا يرى ما يحقق لقومه حلمه ، فارتضى كل دعوة في الشعر وحمله ما قد لا يلتئم وإياه .

«آلامى المعنوية أكبر من آلامى المادية ، فأنى كلما رأيت تقدم الشعب بطيئاً استولى علىّ اليأس ، وكلما انحدرت بالباطل تمزق قلبي من الأسى وكلما خضع للظلم شرقت بدمعى» . (٢)

والغريب أن الزهاوى قد عاش عمره منغصاً ، وظل تحت أنواع الحكم التي مرّ فيها شاكياً يكثر الشكوى ، باكياً قد يطيل البكاء :

أنا لاقيت في بغداد ضنكا أى ضنك

طالما كنت بها أعزل الناس وأبكى (٣)

ولا ينكر أن نزعته إلى التجديد في الاجتماع قد سببت حنق الكثيرين عليه ، وأن بعض آرائه لم يحتملها أبناء زمانه فحرت عليه ما نعصه ، فلقد اتهم بوطنيته — كما مر — وأنكر عليه القوم دينه ورموه بالإلحاد وكثر حاسدوه ومناوئوه ، وتقولوا عليه ما قد لا يكون فيه ، حتى ذهب بعضهم إلى تشبيهه (بالمتنبي) في هذا المجال ، (٤)

العلم يا بلدا نشأت بأرضه ضاعت لديك حقوقه وحقوقى

(١) رسائل الزهاوى: ٤٦٣ وروفايل بطى: الأدب العصرى ج ١ ص ٩

(٢) رسائل الزهاوى : ٤٦٤

(٣) الباب ص ١٢٣

(٤) لغة العرب ج ٦ السنة السادسة ص ٤٦٤

يا نفس قد سبوك حين نصحتهم هذا جزاء الناصحين فذوق  
 قالوا أطردوا الزنديق من أوطانكم ماذا يخاف القوم من زنديق  
 قالوا اقتلوه إنما هو مارق ماذا يضر المؤمنين مروق  
 أنا لست زنديقاً ولا أنا مارق حتى يحل لظفركم تمزيق (١)

ولم يكن الزهاوى ليركب سبيل النواسى (٢) وأشياعه فيضحك من الحياة  
 ويسخر بها إذا اعتورته الهموم، ولكنه قطب دون الدنيا، وظل إلى التشاؤم  
 أميل، وأكثر الشكوى. ومن يدرى فلعل لعلله التي لازمتها طيلة حياته وآلامه  
 التي لاقاها أثراً في ذلك (٣)، فصيرت منه قلقاً جزعاً كئيباً أو مكثباً، وربما  
 كان في هذه السيرة العامة مبرر لتشيبهه بأبي العلاء المعرى كما ذهب بعض  
 النقدة. (٤)

ولا تظن الزهاوى مغالياً في دعواه بأنه يكثر البكاء أو أنه يقول قالة  
 شاعر. فلقد عرف عنه أن دموعه طيبة، وأنه يبكي إذا ضجر وثار، ويبكي  
 إذا ابتهج وُسْرٌ. وعرف عنه بعض مناوئيه ومغيطيه هذا، فراحوا يثيرونه  
 ويشيعون عنه ما يبعث الفرح إليه حيناً وما يغيظه ويبعث الثورة في نفسه  
 أحياناً. وظل يعيش في عالم خاص به — ولا سيما في شيخوخته — ويرى  
 أن قومه لم ينصفوه وهو الذي لاقى مالاقي دونهم وبشر بما بشر لإنهاضهم. (٥)

(١) الباب ص ٢٧

(٢) له قصيدة عنوانها (في جنب النواسى) ادعى أنه مت إليه. ولسانندرى في الزهاوى  
 ما يبرر هذا الانتساب خلا شاعريته:

أود لو تحفروا جنب النواسى قبري  
 إنى أمت إليه وإن تأخر عصرى (اللباب ٣٨)

(٣) الهلال ج ٧ مارس سنة ١٩٣٦

(٤) الرسالة عدد ١٩٢ سنة ١٩٣٧

(٥) انظر رأى بعض معاصريه فيه، جريدة (الاستقلال البغداية) عدد ١٣٢٨ الصادر

في ١٥ أكتوبر (تشرين الأول) سنة ١٩٢٨

ظالما قد لا قيت منكم جفء أنا والشعر والنجار الأصيل  
من قديم يا أهل بغداد أتم أمة عندها يضع الجميل (١)

\* \* \*

وكم لي في المواطن من عدو رماني بالسهام فما أصابا  
أقول لهم خذوا في السهل سيروا وخواوا لي الوعورة والهضابا  
فليس لكم لدى الإدلاج حول على أن تسلكوا الطرق الصعابا  
فراحوا يذشرون الكذب عنى ومن سفهه يكيلون السبابا  
ولم يأبه بما قالوه إلا غبي أو سفهيه قد تفاني (٢)  
وقد يوغل في ذم البغداديين وبغداد، وقد يجوز عليهم وعليها، ولكنه  
الزهاوى ذو النفس الشائرة والروح القلقة. فتراه طوراً يتشبه بنوح  
ويدعو الله لهلك قومه، وطوراً يصور قومه مردة يكيدون للحق ويبرمون به.

رب إن المنافقين بيخدا . . . د كثير وقد أتوا أضرارا  
رب إني نصحتهم أن يثوبوا ثم إني نذرتهم إنذارا  
رب إني دعوت قومي ليلا ثم إني دعوت قومي نهارا  
إن قومي قد فسدوا لا تذر رب على الأرض منهم ديارا  
إن تذرهم يارب في غيهم لا يلدوا إلا فاجراً كفارا (٣)

\* \* \*

لقد كنت في درب ببغداد ماشيا وقد أوشكت شمس النهار تخيب  
فصادفت شيخا قد حنى الدهر ظهره له فوق مستن الطريق ديب  
عليه ثياب رثة غير أنها نظاف فلم تدنس لهن جيوب

(١) الباب ص ٢١

(٢) الباب ص ٢٦٣

(٣) الباب ص ٢٣

تدل غضون فى وسيع جينه على أنه بين الشيوخ كئيب  
يسير الهويناء والجماهير خافه يسبونه والشيخ ليس يجيب  
أحلاوا عليه بالخصى يرحمونه وفى الرأس منه شجة وندوب  
له وقفة يقوى بها ثم شهقه تكاد لها نفس الشفيق تذوب  
فساءلت من هذا فقال مجاوب هو (الحق) جاء اليوم فهو غريب  
فجئت إليه ناصراً ومسلماً ودمعى لاشفاق على صيب  
وقلت له (إنا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب) (١)

أعرفت الشيخ؟ إنه الزهاوى البرم الثائر نفسه، أحسن التصوير وأبدعه  
وإن جار على قومه، وظل هذا شأنه طوال الحكم الوطنى وحتى وفاته،  
ولعلك ملتئم أسباب هذا فى نفسية الزهاوى وما انطوت عليه، فالرجل  
— كما هو معروف بين معاصريه — شديد الإعجاب بشعره، لا يرضيه  
شئ خلا المدح والإطراء. وكأنه إذ تلهذ لأبى العلاء المعرى (٢) كما يدعى  
وظل يلهج بجوانب الحياة المظلمة، أبى إلا أن يتعلق ببعض خصال  
(أبى عبادة البحترى)، فشعره — شأن البحترى — مصون عنده، أكبر من  
النقد والنقده، وهذا دفعه إلى أن يتوهم الناقد عدوا يريد أن يزرى به. وإذا  
ضمك مجلسه ولم تعظمه وتبالغ فى إعظامه سُمك ومُلك، وكان رواده يعرفون  
عنه هذا ويعرفون كيف يثرونه إذا أرادوا ألا يشفقوا عليه. ولك أن  
تستعرض (اللباب) و (ديوان الزهاوى) لتتقف على برم الرجل بالنقد

(١) اللباب ص ٢١ - ٢٣

(٢) قال يخاطب أبى العلاء:

وإن أكبر شئ فىك يعجبني وأنكروا فىك إلحاداً وزندقة  
وعلى ما أنكروه فىك هتان وإنى تلهذت فى بيتى عليك وإن  
أصابتى فى زمانى ما أصابك من  
سخرية من تقاليد وعصيان  
وأبلى عظامك أزمان وأزمان  
حيف فما رد هذا الحيف إنسان

وضيق صدره به . وقد تكون قصيدته ( أنقد أم حقد ) ، خير دليل على هذا ، وهي على طولها حسنة التركيب ، تحس الثورة والوقعة في كل بيت منها :

ملأوا صدور الصحف حقدًا والحقد قد سموه نقدا  
 أنى ألتفت أرى أمامى من رجال السوء ضدًا  
 ألفت قوما يحقدون على الذى للفضل أبدي  
 ورأيت ناسا يحسدون النجم أن يزداد وقدا  
 ووجدت حدًا للولاء ولم أجد للبغض حدًا  
 قالوا دخيل في القريض فإ ، أجاد ولا أجدًا  
 قالوا صخير لا يعد من الفحول ولن يعدا  
 قالوا إلى الاحسان منه غيره في الشعر أهدي  
 وله جراءة فيلسوف يوسع الأديان جحدًا

\* \* \*

يلغو اللسان بباطل والوجه صلب ليس يندي  
 كلم عنتى غير أنى لا أحاول أن أردا  
 لم أشك وخزتها وإن كانت سهامًا أو أشدا  
 لو ساعدتني صحتى لاخترت عن بغداد بعدا  
 مالى أقيم ببيلمدة ألقى بها الأعداء لدا  
 يخشون سيرى في البلا د كأننى ساقود جندا

\* \* \*

إن الخطوب نزلن بي فتركنى عظمًا وجلدا  
 قد ذقت صابا في حيا قى بالعراق وذقت شهدا  
 ولقيت فيما قد لقيت بموطنى نحسًا وسعدا  
 ورأيت بعد المد جز را ثم بعد الجزر مدا

وربما بان لك تناقضه واضطرابه النفسى فى غلوه بالبرم فى حياته ، وتمنيه  
لو أن أيام الأتراك ممتدة ، ودولتهم باقية متوهما - وهو الذى شكأ أيامهم  
السود - أن النعم قد ظله أو انذاك :

أين عزی فى دولة الأتراك	أنا مما فقدته أنا باکی
كنت بالأمس راضيا عن حياتی	وأنا اليوم من حياتی شاکی
أكثرت من حزن عیونى بکاهها	یا عیونى فى الحزن ما أبکاک
ليس حقا ولا قريبا إليه	أن یقاس الباکى على المتباکی
إننى اليوم فى بلادى أسیر	ليت شعری متى یكون فکاکی

وله شعر كثير هذا طابعه ، وقد یحملك على الاعتقاد بأن الزهاوى  
أخطأ السبيل وجاز المألوف ، وقد یحملك على اتهامه بعدم تعلقه بوطنه أو  
إنصافه إياه ، والواقع أن تلك الصفات النفسية فى الزهاوى وضيقه بما وصل  
إليه قومه وما يريد لهم وما يتوقعه منهم ، عوامل أدت به إلى هذه الثورة  
الساخطة ، وكثيرا ما يأخذ الندم فيؤوب كالحائط يستغفر :

وطنى الذى فيه ولدت هو الذى فيه أید	
عنه على شغفى به	أنأى وترجعنى العهود
أبعدت عن وطنى وها	أنا ذا إلى وطنى أعود
فشهقت فى أحضانه	أبکی كما يبکی الولید
إنى إذا احتاج العرا	ق فبالحياة له أجود
إن لم أذد أنا عن حقو	ق للعراق فمن یذود

\* \* \*

بعد أن هزنى إليك النزوع	كان حتما على هذا الرجوع
قد تسابقنا فى الإياب سراحا	أنا والشعر والهوى والدموع
أنت یا لیلی أنت بهجة دنیا	ی التى أزهرت وأنت الربیع
حدثینى عما جرى لك بعدى	إننى یا لیلی إليك سمیع

كلما أبصرت عيوني معنى مثل مغناك فاض منها الدموع

\*\*\*

وكننت هبطت قبل سنين مصرا      فلم أهدأ وفضلت الاياها  
ذكرت مواطني وذكرت أهلي      وليلي والصبابة والشبابا  
وقلت لقد نأت بغداد عنى      فليت الدهر يمنحنى اقترابا  
ولو أنى رجعت إلى بلادى      لقبلت المنازل والترابا  
شربت من النوى لشفاء نفسى      شراباً ثم لم أسخ الشرابا

وإذا كان هذا الجانب من شخصية الزهاوى وبالاعلى عليه، صيره جزءاً  
قلقاً، فإنه مدس إلى شاعريته وأثار فيه مادفعه إلى النظم المتصل والنتاج المتعاقب.  
وليس من ينكر ما أسداه للشعر والأدب عامة من تجديد وتطور؟!

ولم يكن حظه بعد موته بأحسن منه فى حياته، فلقد وجدنا أكثر  
الناشئة يعافونه ولا يقبلون عليه، وطلعت علينا كتب ومقالات تزرى بما  
أنتج، ولكن الزهاوى شأن الفحول مثار جدل ونقاش، ومثار نزاع كبير،  
فإذا عقه هذا الجيل، فلعل الأجيال الجائئة ستعرف له ما أسداه، وستقرأ  
فيه كثيراً مما ضيَّعه التاريخ ودوته أدبه من أحداث تاريخنا الحديث وتطور  
أدبنا.



## الفصل الثاني

### الشعر عنده

ليس لك أن تجور على الزهاوى فتقبل عليه تطلب أصولاً للشعر عرفت لها امتداداً مع أفلاطون وأرسطو أو مع قدامه والعسكري أو غير هؤلاء . فلقد كان شاعراً قبل أن يكون فيلسوفاً ، وكان شأن الشعراء المجددين يقوم له الرأى فينظمه ، وإن كان يختلف كثيراً عن الجيل الذى سبقه . ويمكن أن يقال إنه عرف للشعر رسالة واضحة ، وقلب تفاصيل هذه الرسالة وأكثر ترددها . ويبدو تأثيره بالتيارات الفكرية التى وقف منها فى رأيه بالشعر ونزعتة إلى التجديد فى معانيه وألفاظه وصوره وخياله ، وقد أفلح فى تجديد بعض هذه الأصول وإن انزلق وهو يجد وراء هذا إلى ما شوه شعره وأبعد رونقه ورواه أحياناً . وأنت غافر هذا إذا عمدت إلى مقارنة الرجل بجيل سبقه ، وقد تكبر ما أسداه للشعر ونهضته وما شقه من طريق كان هو أحد أركانه والطليعة إليه .

وقد فصل رأيه فى الشعر بكلمة نشرها فى مجلة ( لغة العرب ) ( ١ ) ثم صيرها مقدمة لديوانه ( اللباب ) ، وكان كثيراً ما يفعل فعلة الأوربين فينشر رأيه فى الشعر فى مقدمة دواوينه ، وربما كانت مقدمته ( لديوان الزهاوى ) ( ٢ ) أجدود ما كتب فى هذا المجال .

ولا أريد أن أناقش الزهاوى بما زعم أنه من رسالة الشعر ، بل أتركه يتحدث إليك نفسه :

( ١ ) عنوان المقال ( كلمة فى الشعر ) نشره عام ١٩٢٨ ، وأنظر سحر الشعر ص ٣٧

( ٢ ) طبعة المطبعة العربية بمصر عام ١٩٢٤ .

« الشعر ما ينظمه الشاعر من إحساس يجيش في نفسه بأوزان موسيقية  
تهز السامع .

إذ الشعر لم يهزرك عند سماعه فليس خليقا أن يقال له شعر

ولا أرى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد ، حر لا يتقيد بالسلاسل  
والأغلال وهو أشبه بالأحياء في اتباعه سنة النشوء والارتقاء ، يتجدد  
— وأحر به أن يتجدد— بحسب الزمان . ويرتقى من الأدنى إلى الأعلى ومن  
البسيط إلى المركب . وأنزع أن أمشى بشعري في سبيل الحياة الطبيعية  
متجنباً المبالغات وكل ما ليس حقيقيا ، وما أخلق الشاعر بأن يخرق التقاليد  
التي ورثتها الأبناء من الآباء ، فيقول ما يشعر به هو لا ما يشعر به آباؤه .  
فكلما رجعت إلى نفسى أحميد به عن الطريق الذى يمشى عليه غيرى معتقدا  
أن الطبيعة أولى بالتقليد .

وما زلت فى جو من الفكر طائرا ومن عادى ألا أطيير مع السرب  
وقد جردته ما استطعت من الصناعات اللغزية والخيالية الباطلة ،  
وحرصت على أن يكون منطبقاً على الواقع ، خلواً من الاغراق ، ماشيا مع  
العصر . فحسبى أن توحى الطبيعة إلى فأقول ما أقول :

حبذا الشعر إذا كان مشيرا للشعور

وإذا كان نزيهاً كأغاريد الطيور

ولا أرى مانعاً من تغيير القافية بعد كل بضعة أبيات من القصيدة ، عند  
الانتقال من فصل إلى آخر كما فعلت فى عدة قصائد . .

وأجيز للشاعر أن ينظم على أى وزن شاء سواء كان من أوزان الخليل  
أو غيرها . . . الجديد هو أحسن ما تنزع إليه النفس الوثابة ، ولو لم يتجدد  
الليل والنهار ملهما الناظر .

سَمَّت كل قديم عرفته في حياتي  
إن كان عندك شيء من الجديد فهات

ولا أريد بالتجديد أن يقلد الشاعر العربي شعراء الغرب في شعورهم ،  
فإن لكل أمة شعراً خاصاً بها لا تحس به أمة أخرى كالموسيقى . ألم تر أن كلا  
من الشعر العربي والشعر الغربي إذا ترجم إلى الآخر فقد كثيراً من روعته ،  
اللهم إلا إذا تصرف فيه المترجم فقربه من شعور قومه أو كان الشعور الذي  
ترجمه مشتركاً بين الأمتين .

PJ al-Hani, Nasir.  
7876 Muhadarat 'an Jamil al-Zahawi.  
.A35 1954  
.27

c.1 Near East

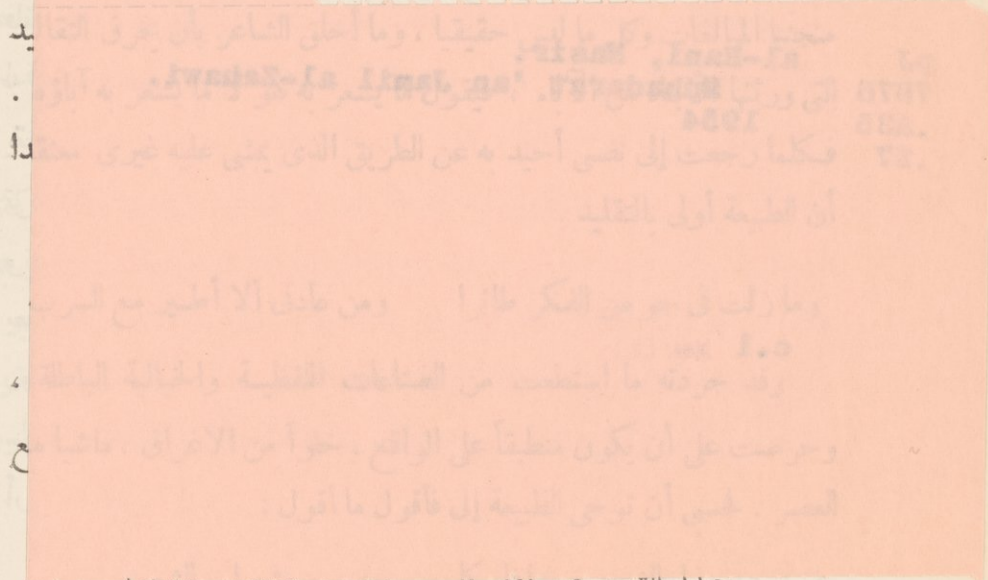
فرادى وارواجا ، واشتاتا وركاما . وارض خضراء أديمها ، وهي منبت  
جسدى وعقلى . وأصحاب يوالون ، وأعداء يناوئون ، وجهاد مستمر ،  
وآمال بيض ، ويأس أسود ، وفساد في النظام وعادات سيئة تضر بالمجتمع ،  
ونفس لى حرة لا تقيم على الضيم .  
كل ذلك قد أنطقنى شعراً هو شعور كان يجيش فى نفسى قبل أن  
أنطلق به ..

وربما عرف المطالع من قصيدى حالة بلادى السياسية ، ودرجتها من

الشعر ما ينظمه الشاعر من إحساس يجيش في نفسه بأوزان موسيقية  
تهز السامع .

إذ الشعر لم يهزك عند سماعه فليس خليقا أن يقال له شعر

ولا أرى للشعر قواعد بل هو فوق القواعد ، حر لا يتقيد بالسلاسل  
والأغلال وهو أشبه بالأحياء في اتباعه سنة النشوء والارتقاء ، يتجدد  
— وأحر به أن يتجدد— بحسب الزمان . ويرتقى من الأدنى إلى الأعلى ومن  
البسيط إلى المركب . وأنزع أن أمشي بشعري في



حبذا الشعر إذا كان مسيرا مسجورا

وإذا كان نزيها كأغاريد الطيور

ولا أرى مانعا من تغيير القافية بعد كل بضعة أبيات من القصيدة ، عند  
الانتقال من فصل إلى آخر كما فعلت في عدة قصائد . .

وأجيز للشاعر أن ينظم على أي وزن شاء سواء كان من أوزان الخليل  
أو غيرها . . . الجديد هو أحسن ما تنزع إليه النفس الوثابة ، ولو لم يتجدد  
الليل والنهار لملهما الناظر .

سَمَّتْ كل قَدِيمَ عِرفته في حِيَاتِي  
 إن كان عندك شيء من الجديد فهات

ولا أريد بالتجديد أن يقلد الشاعر العربي شعراء الغرب في شعورهم ،  
 فإن لكل أمة شعراً خاصاً بها لا تحس به أمة أخرى كالموسيقى . ألم تر أن كلا  
 من الشعر العربي والشعر الغربي إذا ترجم إلى الآخر فقد كثيراً من روعته ،  
 اللهم إلا إذا تصرف فيه المترجم فقر به من شعور قومه أو كان الشعور الذي  
 يترجمه مشتركاً بين الأمتين .

وكثير من المعاني مشترك لا يختص به شاعر دون آخر ، فمن أجاد في  
 نظمه فهو أحق به من غيره ، وهناك حقائق علمية ونواميس طبيعية  
 قد اكتشفها أفراد العلماء ، فإذا بنى شاعر شعره على بعض هذه الحقائق  
 فمن الحيف أن يوصم بالأخذ ، وأى تثريب على من يبنى القول على ما قرره  
 العلم ، وهل التقدم إلا اتباع العلم في خطواته .

وقد يعلق بذهن الشاعر شطر من بيت سمعه لمتقدم فيأتي به بعد سنين في  
 تضاعيف قصيدة له لاقتضاء المقام ذلك ، وهو ناسى أنه مقول ، فتقوم عليه  
 القيامة ويرمى بالسرقة .

هناك في بغداد على ضفة دجلة سماء صافية زرقاء تلمع في ليلها النجوم ،  
 فرادى وأزواجاً ، وأشتاتاً وركاماً . وأرض خضراء أديمها ، وهى منبت  
 جسدى وعقلى . وأصحاب يوالون ، وأعداء يناوئون ، وجهاد مستمر ،  
 وآمال بيض ، ويأس أسود ، وفساد في النظام وعادات سيئة تضر بالمجتمع ،  
 ونفس لى حرة لا تقيم على الضيم .

كل ذلك قد أنطقنى شعراً هو شعور كان يجيش في نفسى قبل أن  
 أنطلق به ..

وربما عرف المطالع من قصيدى حالة بلادى السياسية ، ودرجتها من

الرقى في السنين التي عشت فيها . وعرف عن حياتى ما لم يعرفه من التراجم المطولة، (١) .

\* \* \*

كل هذا الذى رسمه الزهاوى جديد ناهض ، وقد يبدو لقارىء اليوم تردداً للبيادىء كما يقولون ، ويجدر ألا ننسى أنه قد انتهج هذه الأصول ونادى بها قبل أكثر من نصف قرن يوم كان الشعر تقليداً للوروث وانهماكاً فى المدح والثناء .

لم يكن مبدأ البساطة فى الشعر معلناً  
أنا من بعد أعصر أنا أعلنته أنا (٢)

وقد تجد فى بعض كلبته هذه اعتذاراً أو تبريراً لفعلة وقع بها فندد به بعض معاصريه ، كتحبيذه تغيير القافية ، وتضمينه المعانى الشعرية المخترعة (٣) فلقد وقع له هذا كما أكثر من التكرار وتقلب المعانى ، والواقع أن لهذه المسألة ذيولاً فى الأدب العربى ، شغلت النقدة زمناً طويلاً ، وعركها (العسكرى) و(الجرجاني) و(الأمدى) .

والغريب أنك تحس ثورة الزهاوى على كل قديم ، مما حدا به إلى أن يبيح النظم فى أى وزن يشاؤه الشاعر سواء كان من أوزان (الخليل) أو غيرها ، ولقد جاءنا نبأ بعض الشعراء الذين ثاروا على الخليل يوم قعد قواعده (كرزين العروضى) الذى رسم أصولاً وبجوراً تغاير بحور (الخليل) وإن لم يصلنا غير خبرها . و(كابى العتاهية) الذى نظم قليلاً مما خرج به على أوزان الخليل . وجاءنا نبأ ذوى الموشحات وذوى الفنون الشعرية الأخرى (كالقوما)

(١) أنظر (ترغى فى الشعر) بقدومه (ديوان الزهاوى) ص ١ - ز ، وانظر مقدمة (الباب) أيضاً .

(٢) الباب ص ١٦٣

(٣) أنظر باب (المخترع والبديع) فى العمدة : ابن رشيق ٢٣٢/١

و (الدويبة) و (الكان وكان) وغير هذه . ولسكننا لم نر في شعر (الزهاوى) ما يحملنا على الاعتقاد بأن الرجل حاول الخروج على المؤلف من الوزن ، وإن كنا قرأنا له بعض المحاولات لتجديد صورة الشعر ، بعدم التزامه وحدة القافية (١) .

ولا أغالى إذا ادعيت أن محاولته في هذا الميدان غير ناضجة وأن التوفيق قد خانته . فقصيدته (بعد ألف عام) التي ادعى أنها من الشعر المرسل المستحدث لا تثير في القارىء ما يبعثه على المضى بها أو الائتلاف معها . ولا تستحق أن تنعت بأنها (مستحدثة) إلا إذا أجزنا أن يقال للعب الصبيان استحداثاً مقبولاً ، ولا نظن بين الناشئة المتأدين من لا يستطيع النظم على نحو الزهاوى المستحدث .

كأنى من قبرى انبعثت وقدمضى	على من الأعوام فى جوفه ألف
فألفيت أن الأرض قد حال وجهها	بصنع الألى كانوا عليها يعيشونا
وأن هناك البرق ضاق عرضه	بهم فبنوا فوق البحار المنازلا
ولسكننا الشمس المنيرة لم تزل	تضىء نهاراً ثم تغرب فى الليل
وكانت بعينى السماء كعهداها	منمقة فى الليل بالأنجم الزهر
وألفيت أن الناس طرا تغيروا	فما أحد منهم كما كنت ألقاه (١)

وقد جازت قصيدته المائة بيت هذا طابعها .

وأكثر من الرباعيات ، وهذه صورة ليست جديدة فى الشعر العربى وإن لم تكن شائعة شيوعها فى شعره ، وبلغت رباعياته أكثر من ألف . طابعها مكرور وأكثر معانيها مكرورة أيضاً ، وقد نشرها بكتاب سماه (رباعيات الزهاوى) قدم له بمقدمة طويلة عن حياته نشره عام ١٩٢٣ .

(١) انظر رأيه فى القافية : سحر الشعر ٥٦/١

(٢) الباب ص ٢٨٠ - ٢٨٦ . وانظر قصيدة أخرى هذه صورتها . الكلام المنظوم ص ١٧١

وله قصائد امتاز بها على شعراء عصره الذين التزموا البحور الطويلة المألوفة وهي إلى التوشيح أقرب وبموسيقاه ألصق . ولك أن ترجع إلى قصائده (العلم والجهل) (١) و (حظي هو النظر) (٢) و (كلمة في الشعر) (٣) و (لم تدم لنا) (٤) و (إلا أنا وحدي) (٥) التي أروىها :

روض وبستان ورد وريحان  
 بلابل تشجوا منهنَّ الحان  
 تمشى زرافات حور وولدان  
 الكل مرتاح الكل جذلان  
 الناس في رغد  
 إلا أنا وحدي

تزداد آلامى عاما على عام  
 أهكذا أشقى فى كل أياى  
 فأين آمالى وأين أحلامى  
 إذا دنا حتى تزول آلامى  
 فليس لى شيء  
 سوى الردى يجدى

للقوم أحقاد على تزداد  
 كم كاد لى كيدا للؤم أضداد (٦)  
 كأن قومى عن نهج الهدى حادوا  
 أنى وإن جارت على بغداد

(١) ديوان الزهاوى ص ٢٣٧ (٢) ديوان الزهاوى ٩

(٣) ديوان الزهاوى ص ٢٤٦ (٤) اللباب ص ٣٢

(٥) اللباب ص ٧٤

(٦) وىروى : كم كاد لى سببا فى الصحف أضداد



أهدى لها حبي

هذا الذى عندى

بنايتى انهارت تجارتى بارت

سعادتى ولت تعاستى زادت

جسارتى قلت جلادتى خارت

عصفورتى فرت حمامتى طارت

لقد أتى نحسى

وقد مضى سعدى

ما كنت فى الماضى أشقى بأعراض

أبلى بإخفاق أمنى بإنفاض

بل كنت فى عهد للعيش ففضاض

أفديه من عهد عنه أنا راض

ياحبذا الذكرى

لذلك العهد

وربما كان الزهاوى أكثر شعراء العربية حديثاً عن الشعر ، واعتزازاً به . فهو يرى فيه رفيقه وخليله ، ويرى فيه عزاءه عند الملمات ومسليه عندما تعتوره الهموم ، خاطبه كثيراً ولاذ به كثيراً .

وكان منبره ، منه يخطب الناس ويبت رسائله ، وقد يعز عليه الصديق فلا يرى غير الشعر صديقا ، ويعز عليه من يعرف دائه الدفين فلا يلقى غير الشعر سباقا إلى أعماق نفسه . وله فى هذا الميدان قصائد هى مظهر لنفس حزينة وصورة ناطقة عما اعتور الزهاوى ونغص عيشه ...

ياشعر إنك أنت صوت ضميرى بيديك حزنى تارة وسرورى

ياشعر أنت بكأى يوم كآبى وتبسمى يا شعر يوم حبورى

أنا أنت يا شعرى وأنت أنا فمن يقرأك يقرأ سيرتى وشعورى

ما أنت إلاّ صيحة أرسلتها في الليل عند تكاثف الديجور  
قد كنت حيناً في خفائك خافياً حتى ظهرت فكان فيك ظهورى (١)

\* \* \*

ياشعر أنت سماء أطير فيها بفكرى  
طورا أسف وطورا أعلو كتحليق نسر  
إن لم تصور شعورى فلست ياشعر شعورى  
من بعد موتى بحين سيعلم القوم قدرى  
لقد وقفت حياتى لكم وأفئيت عمري (٢)

\* \* \*

أقول للشعر شهرى وليس بالشعر كسبى  
إن أعرض الناس عنى فحسبى الشعر حسبى (٣)

\* \* \*

أنت يا شعر خالد أنا يا شعر هالك  
أنت يا شعر كل ما أنا فى الكون مالك (٤)  
وقد يكون طريفاً أن ترى (الزهاوى) يرسم نهجه فى النظم ووسيلته .  
وإذا شرعت بنظمه للذهن فيه أحصر  
فإذا نظمت البيت منه أعيده وأكرر  
وإذا رأيت اللفظ ليس كما أروم أغير  
وأظل أصقله إلى أن تستقيم الأشطر

(٢) الباب ص ٨٣

(٤) الباب ص ١٦٣

(١) الباب ص ٨٢

(٣) الباب ص ١٤٥

ويروع عيني حسنه وبين فيه الجوهر  
أحسن بشعر عن شعور النفس كان يعبر (١)

ويظل يكرر بأن شعره صورة صادقة لشعوره ، وإن كان ( الزهاوى )  
نفسه قلقا في هذا الشعور .

يا شعر إنك في الحق صورة من شعورى  
وأنت للناس يا شعرى ترجمان ضميرى

فلقد رأيناه يصور شعوره والأحداث التي هزته ، دون نقص ودون  
اهتزاز . فكثيراً ما هزته مناسبة فلاذ بالشعر حتى إذا أدبرت وبان شرها  
راح إلى شعره يلهله ويقطعه ليزيح هذا الذى عافته الأيام . وتجد أثر هذا  
واضحاً في مختاره من شعره . فقد يثبت القصيدة في ديوان طبع هذا العام ،  
فإذا به يثبتها مبتورة في ديوان آخر بعد أعوام ، وقد يقطع القصيدة وصلاً  
تحشر في أبواب مختلفة ، وهذا ولا شك يفسر عيباً ظاهراً في صورة شعر  
الزهاوى ، الطول الممل والاسترسال في الموضوع وتقليبه أحياناً  
والاستطراد أحياناً إلى ما قد يخرج به عن المراد (٢) . ولكننا لا ننكر على  
الرجل في ذلك كله ثباته على ما إليه دعا وبه بشر . من أن الشاعر الصادق  
هو الذى يقول ما يشعر به هو لا ما شعر به آباؤه . فلقد ظل شعره صورة  
لشعوره سواء كان هذا الشعور صادقاً بطبعه أم غير صادق . وظل ينزع إلى  
الجديد في موضوعاته ، ويسهم في معان الحياة حتى غدا شعره سجلاً أدبياً  
لكثير من أحداث البلد وتياراته ، ولكثير من عاداته وتقاليده ، مما  
لا تجده في شعر جيل سبقه ، وإن كنت واجده أصدق وأشمل في شعر  
بعض معاصريه .

وإذا كان بعض القدامى قد وقف شعره على حبيبة أو صديقة عثرف بها

(١) اللباب ص ٨٩

(٢) انظر بعض عيوبه في هذا الباب - حقيقة الزهاوى . لمهدى العبيدى ص ١١٥ و ١٠٠

واشتهر باسمها ، فان الزهاوى بين المحدثين قد عرف بليلاه .

ردد اسمها كثيراً ، وبشها شكواه وآلامه كثيراً ، حتى ليخال قارىء شعره  
أنها (كالعامة) أو (بثينة) أو (فوز) . ولكن (ليلي) الزهاوى هذه  
حلمه الذى اليه صبا ، وأمانيه التى حط عندها رحاله ، فهى (الحقيقة) وهى  
(العراق) وهى (فتاة) أحبها أيام كان (بالأستانة) (١) ، وقد يحار قارىء  
شعره فى (ليلاه) وقد يختلط عليه أمر فتاته وأمر حقيقته وعراقه .

أريد إذا قابلتها لأبها غرامى بها لسكنى أتلجج  
تمنيت يا ليلي وهل تنفع المنى لو أن حياتى فى حياتك تمزج

\*\*\*

قابلت ليلي فلم تمدد إلى يدا ياويلتا أن أتعابى ذهنى سدى  
لاكنت من شاعر لما أهين شدا أزور ليلي إليها الوجد يدفعنى  
وأن حظى فى ليلي هو النظر

بانئت عشيا وما للبين من سبب فساء من بعد ذاك البين منقلبي  
ياليتنى كنت أطوى الأرض فى الطلب إذا اجتمعت وليلي عند رجعتها  
فقد تعاتبنى ليلي واعتذر

\*\*\*

ليلي أطلى على العا شقين ليلي أطلى  
ترى أعزة قوم مطأطين بذل  
ترى صدوراً من الشوق والصبابة تغلى  
عدى وإن كان وعد الحبيب رهنا بمطل  
هل كان يمكن ألا يحب مثلك مثلى

إني لأجلك يا ليلي عفت أرضى وأهلى  
فأنت منذ خلقنا ماذا فعلت لأجلي (١)

\*\*\*

يا نجمة الصبح من حا لى علينا أطلى  
ويا نسيم تحرك من أجل ليلي وأجلي  
ويا هزار أعدلى ما كنت بالأمس تملى  
إلى يا نرجس أنظر بأعين منك نجل  
يا ياسمين تفتح يا أقحوان ابتسم لى  
ليس الأزاهر إلا مظاهرا للتجلى  
وكيف أنسى بقاعا فيها منازل أهلى (٢)

وليس من منكر أن (الزهاوى) قد ودع اللغة التقليدية — إن صح هذا التعبير — التى ألفناها فى الشعر ، وودع المحسنات البديعية واللفظية التى غالى فيها شعراء سبقوه حتى صارت قوام شعرهم وعماده . ولك أن ترجع إلى دواوين (السيد الخلى النجفى) و (الخبوبى) و (العمرى) و (الأخرس) وبعض المجموعات الشعرية (كالعراقيات) لتقف على جوانب واضحة من التقليد الممل البغيض ، وكيف هزل رواء القصيد حتى صار ضرباً من التلهى بمحسنات يكده وراءها الذهن ليدركها .

وحاول أن ينتزع تجاربه من أحداث حاضره وواقعه ، وبما اعتور البلد من مشكلات . كما وقف نفسه على التزام لغة تعبير بسيطة خالية من الألفاظ الكثرة الجامدة ، وربما جنح إلى ألفاظ دارجة يومية . .

وكان له من اللباقة وحسن التصرف ما باعد كثيرا بين شعره والضعف الذى يلفه فى فعلة كهذه عادة ، وقد يقع قارىء شعره على ما يبدو مائعا أو كزا فى أذنيه ، فليتذكر أن (الزهاوى) عمر طويلا ونظم كثيرا ، وقد يكون

طبيعياً أن يدركه هذا لأننا لم نلف شاعراً استقام له نظمه كله وخلا شعره من سقطه أو عثرة .

ويبدو أن جوانب ( الزهاوى ) المتعددة وشغفه بالعلم الذى عرفه عصره وبأصوله ، ودراسته الفلسفة ، صيرت منه عالماً أديباً ، تحس في كثير من من شعره الطابع العقلي والنزوع إلى المناقشة العقلية والتفاصيل فى أكثر الشئون التى طرقها ، كما سترى هذا تفصيلاً .

فى هذا تجد الفرق بينه وبين ( الرصافى ) معاصره ، فهذا فنان أديب وذلك أديب عالم أو متأثر بالعلم .

إذا أقبلت على شعر الزهاوى وبرأسك هذا أدركت مغزاه ، وربما لذلك أكثر شعره وراقك ، وربما رأيت لقصائده فى الفلك والنجوم وغيرها مما ضاق به الكثيرون مبرراً ورأيت لها رواء .

## الفصل الثالث

### فنون شعره

كانت الأغراض الشعرية التي ولع بها الزهاوى مواكبة لطبيعة سنته في الحياة ، وغرضه من النظم . فالشاعر لا يجد وراء الفنون التي كثرت عدا عند القدامى ، ولا يستهدف هذه الفنون لذاتها بل تكون صدى لما وقف له ونحاه ، ولم يكن الزهاوى ليختلف عن ذى دعوة عامة بها بشر . وفيها أكثر القول ، محاولاً جرّ مجتمعه إليه والتغنى بما يبعث العزم والاندفاع نحو مثله وأهدافه . وكان طبيعياً أن يمدّ يديه إلى ما اعتور (المجتمع) من أرزاء وأدواء . وليس شأن الشاعر أن يعرك هذه المشكلات كما يفعل الاجتماعي أو الفيلسوف ، لأن الشعر فن ذو حدود ، وقصاراه أن يثيرك متغلغلاً في أعماق نفسك متمسكاً عواطفك وشعورك ، لا أن يأخذك إلى ما أنت واجده في العلم .

وللزهاوى نظم قد يكون له من الشعر وزنه وقوافيه فحسب ، ولكن هذا قليل بالاضافة إلى شعره الجم ومجموعاته الكثيرة .

وربما كانت الأضراب التي شاعت في شعره ذات طوابع متقاربة أصلاً وإن اختلفت صورها ، فالزهاوى كما يعرفه أبناء زمانه شغل الرأي العام وتضاربت الآراء فيه ، فمن قائل إنه شاعر فيلسوف ومن مدّع أنه ليس شاعراً بل فيلسوفاً ، وغالى بعضهم فذهبوا إلى أنه لاذ بالشعر ليلبغ غاية في نفسه هي الفلسفة (١) ، واحتج هؤلاء ببيته المعروف :

(١) مجلة الامام : عدد مارس ١٩٣٧ ( الزهاوى الشاعر ) بقلم اسماعيل أدهم . ومجلة

الادب الجزء التاسع ، أيلول (سبتمبر) ١٩٤٧ .

وانظر رأى المستشرق الروسى ( كراتشكوفسكى ) فى مجلة الرسالة العدد ١٧١ سنة ١٩٣٦

ولقد جئت بالحقائق أشدو وتركت الخيال للشعراء  
وبيعض قصائده .

والواقع أن الزهاوى قد تأثر بالفلسفة ، وبأن هذا واضحاً في شعره ،  
فلقد كان مدرساً للفلسفة الإسلامية في (المكتب الملكي) (بالإستانة)  
بعد الانقلاب العثماني ، وهذا حدا به إلى متابعة ما يجد من نظريات علمية  
وفلسفية ، وحدا به إلى أن يكتب في موضوعات لا نظن غيره يقحم نفسه  
فيها . فكتب كتاباً في ( الجاذبية وتعليلها ) عام ١٩١٠ وكتاباً في الظواهر  
الفلكية والطبيعية سماه (المجمل مما أرى) نشره عام ١٩٢٤ . ولا نظن الفلاح  
أدركه دوماً لأنه لم يتهياً له من الدراسة العلمية ما يقيم الرأى أو يأخذه إلى  
الأصول العلمية السليمة ، ومن يقرأ الكتابين يقف على ما عاناه ، لأنه ولج  
ميادين بعيدة عنه ، وليس للتأمل مجال كبير فيها شأن الفلسفة .

ومهما يكن من شيء فإن نشيشه بالعلم على ضعفه — وبالفلسفة قد خلف  
أثراً ظاهراً في شعره ، فهو نزاع إلى مناقشة الأمور ومحاكمتها ونزاع إلى ذكر  
العلل والأسباب والنتائج ، وإلى البراهين والأدلة أحياناً ، وهذا بطبعه  
لا يواكب الشعر كثيراً . فجاء شعره — شأن من غلبت عليهم نزعة فلسفية  
أو علمية — مطبوعاً بطابع فلسفته ونحوه ، يتراوح بين ما تجد له ديباجة  
الأديب وما تستطيع أن تصفه بأنه مفصول من هذه الديباجة إذا  
ارتضيت التعبير .

وليس الزهاوى يبدع بين شعراء العربية في هذا النهج ، فلقد كان  
لأبي تمام وابن الرومي ، وكان للمعري والمتنبي شيء من هذا وإن  
اختلف .

وتجد أثر هذه النزعة في لغته أيضاً ، فهي إلى لغة العلم أقرب منها إلى لغة  
الأدب . وقد تجد هذا واضحاً إذا ما قارنت شعره بشعر الرصافي معاصره ،  
فالفرق بين ديباجة العالم والأديب واضحة في كثير مما أنتجا ، ويذكر أنك  
حتماً بما عرفت عن (أبي تمام) و(البحترى) .



وإذا جازت المقارنة بين الطائنين وشاعرنا المعاصرين فإن الضجة التي أحدثها الطائنان لا تختلف كثيراً عما أحدث الزهاوى والرصافي .

إن الفنون التي طرقها الزهاوى - كما قلت - تهدف وجهة عامة مستوحاة من أحداث جيله وأزمات زمانه ، ومن طبيعة التقاليد التي رزح فيها القوم . وإذا جاز لنا أن نصنفها إجمالاً ، فإنها فرعان كبيران هما شعره في السياسة وشعره في المجتمع ، ولك أن تحشر تحت هذين الفرعين فصولاً كثيرة تمت إليهما .

### شعره السياسى

يهدف الشعر السياسى اصطلاحاً تقصى أعمال الحكومة القائمة ، وتعقيب ما تحققة للمواطنين مما يتفق وكرامتهم ، ويحقق لهم تقدماً ونهضة وعماراً مطرداً ، وعيشاً لا تقاً بإنسانيتهم ، والعمل على اقتفاء دستور حكيم منتزع من أهداف المواطنين وطموحهم لا من أهداف الحكاميين ومآربهم ، وقد يكون فى هذا النحو تجوز لكننه مفهوم شامل .

وإذا تقصينا شعر ( الزهاوى ) فى هذا المجال ؛ رأينا له أدواراً ثلاثة تواكب ظروف العراق السياسية هى :

١ - عهد الحكم العثمانى

٢ - عهد الاحتلال البريطانى

٣ - عهد الحكم الوطنى

كان العراق ولاية تابعة للخلافة فى ( اسطنبول ) طوال عهد العثمانيين . وكان للخلافة هبة وجلال فى نفوس الناس ، مكنت لها دعاية واسعة للسلطان خليفة المسلمين وحامى الدين .

ولقد جرى ( الزهاوى ) أول عهده بالشعر ، التيار العام الذى انطلق فيه الناس ، ورأى فى الخليفة رأى الناس فى زمانه ، فظل للخليفة سلطان على

نفسه ، ومكانة عنده ، فسمعناه يطرى ( جيش الخليفة ) ويرى في عزته عزة المسلمين ونصرتهم :

هو الفتح ألقى في قلوب العدى هو لا  
لبسنا به ثوبا من العز ضافياً  
رداءان من عز وذل كلاهما  
أضاع بنو اليونان في الحرب رشدهم  
تغلب جيش المسلمين عليهم  
وبدد بالغارات شمل جيوشهم  
عقدنا مع اليونان للحرب هدنة  
هو النصر مقرونا به العز لم تزل  
أقول لمن قد بات يجهل مجدنا

وأثبت أن الحق يعلو ولا يعلى  
وهم لبسوا من أجله العار والذلا  
جديد على مر الزمان فلا يبلى  
فضلوا وقد خابت أماني من ضلا  
فأخنهم جرحا وأوسعهم قتلا  
خميس على جل الحصون قد استولى  
على طلب منهم فكانوا اليد السفلى  
بالسنة الأيام آياته تتلى  
سل السيف عنا والفتوة والنبل

\* \* \*

لسلطاننا ( عبد الحميد ) سياسة  
سللت لنصر الدين سيف عزيمة  
جهزت جيشا للجهاد عرمرما  
نهنيك بالفتح المبين الذى به  
طريقتها فى العضلات هى المثلى  
فللت به ما لم يكن فله سهلا  
قهرت به ذاك العدو الذى ولى  
تسامى منار للشريعة واستعلى (١)

وقد تجد هذا الاندفاع للخلافة والتعكك بها فى شعر كثير من معاصرى  
الزهاوى ، كالرصاصى وشوقى وحافظ وغيرهم :

لأنت جدير بالظهور على العدى  
جهادك يفضى البرق أخبار نصره  
وفعلك فى الأفواه يتلى وفى الورى  
يود العلى والحق أنك كلما  
وأنت بتأييد الخلافة جدر  
وفوزك فى كل الجرائد ينشر  
يشيع وفى التاريخ بعدك يذكر  
تقابل أعداء السلامة تظهر

(١) عنوان القصيدة (الفتح الحميدى) فى ديوانه (الكلام المنظوم) ص ٣ - ٤

إليك عيون المسلمين بأسرهم على بعدهم في الشرق والغرب تنظر (١)  
كل هذا قبل أن تستفحل دعوة الأحزاب المناوئة لعبد الحميد . وقبل  
أن تثور ثائرة العرب ويبرموا بما وصلوا إليه . وقد أسهم زمرة الشعراء  
الناهضين - والزهاوى منهم - بالموجة الصاخبة على ولاية السلطان ،  
فراحوا ينددون بسياسة الخلافة ، وبما وصلت إليه بلادهم من فوضى  
وتدهور واضطراب :

وما هي إلا دولة مُسْتَبِدَّة تسوس بما يقضى هواها وتعمل  
فترفع بالإعزاز من كان جاهلا وتخفض بالإذلال من كان يعقل  
ألا إنما بغداد قد أصبحت بهم يهدُّها داءُ من الجهل معضل  
تحوَّل عنها كل يوم رزية فتبقي دمارا شمَّ لا يتحول  
وقد عبثت بالشعب أطاع ظالم يحمله من جوره ما يحمل  
فتعسا لقوم فوضوا أمر أنفسهم إلى ملك عن فعله ليس يُسأل  
فيا ملكا في ظلمه ظل مسرفا فلا الأمن موفور ولا هو يعدل  
تمهل قليلا لا تغط أمة إذا تحرك فيها الغيظ لا تتمهل  
وأيديك إن طالت فلا تغتر بها فإن يد الأيام منهن أطول (٢)

ويبدو برم ( الزهاوى ) بهجماته العنيفة على الولاية وتجريحه سياستهم .  
وكان - كما هو شأنه - يفصل ما انتاب العراق من أزمات ومحن كانت  
وليدة هذه السياسة الجائرة ، وكيف غدت الحكومة - في البلاد - ذريعة  
للغدر والنهب ..

يا غيرة الله ابطشى بعصاة ألهام الجبروت والطغيان  
فلقد أهين العدل في ديوانه ولقد أهين العلم والعرفان

(١) يخاطب جيش الخلافة . ديوان الزهاوى ص ١٠٩

(٢) الكلم المنظوم ص ٨

ولقد أهينت للمساجد حرمة  
 جعلوا الحكومة في البلاد ذريعة  
 لا شيء يحظى من قلوب سراتهم  
 قوم جفاة ما لهم من رحمة  
 سلبوا القبائل ما لها بوسائل  
 لم يرتضوا من بعد سلب ثرائها  
 ويح المواطن إنها لبست بهم  
 محقورة في عينهم لا أهلها  
 تالله يا طمع الولاة عرقتنا  
 وأهين في محرابها القرآن  
 للصدر حتى رجت البلدان  
 بالحب إلا الأصفر الرنان  
 لو لان صخر جامد ما لانوا  
 لا يستطيع كخلقها الشيطان  
 إلا بأن تهتك النسوان  
 ثوب الخراب فما بها عمران  
 أهل ولا إنسانها إنسان  
 وأكلت ما لا يأكل الغرثان (١)

وكانت له مواقف مشهودة في التشنيع بالولاية ، فتسمعه يهاجم والى  
 الولاية في قصيدة طويلة عنوانها ( طاغية بغداد ) (٢) :

جاء عجزا يزرى وجاء اقتدارا  
 عامل الناس بالعدالة والظلم  
 جر عزاً إلى العراق وذلا  
 وأصار النهار ليلا بهيما  
 أفقر القوم بالعراق وأغنى  
 أخضع الناس نَفَذَ الحكم فيهم  
 غرّب الأبرياء بثّ الجواسيس على الناس أسعف الفجارا  
 مقت العلم ساخرا من ذويه  
 قال للناس إنما الأمر شورى  
 وتردى شناعة وفخارا  
 فكانوا يلقون نورا ونارا  
 وحياة لأهله وبوارا  
 وأصار الليل البهيم نهارا  
 وسّح الطرق ضيق الأفكارا  
 وطد الأمن أرخص الأسعارا  
 بذر المال جرأ الأشرارا  
 بيننا ثم أنه ما استشارا

ولم ينس الزهاوى أن يتهج خطة جد في دعوته ، ويحتضن ما دعت إليه  
 المنظمات التي عملت على رفع العراق والبلاد العربية عامة ، فدعا - دعوتها -

(١) الكلم المظوم ص ١٢٤ - ١٢٦

(٢) ديوان الزهاوى ص ٧٣ و ٢٢٠

إلى التسليح بالعلم ومكافحة الجهل والالتفات إلى شؤون الحياة التفاتاً جدياً ،  
والتأزر للعمل على تحقيق الأهداف العامة التي يبتغونها لتحرير بلادهم ، فضل  
شأن الخطيب لا ينفك عن بث تعاليمه :

أيها الناس مر وقت الملاهي أيها الناس إنما أنا ناهي  
أيها الناس قد دهتكم دواهي أيها الناس سارعوا لا نتباه  
أيها الناس أتمم في رقاد

إنما العلم للهالك صوت وعلى الجهل ليس يثبت كون  
بين هذا وذاك لا شك بون إن هذا لون وذلك لون  
لا يكون البياض مثل السواد

استنبروا بالعلم فالعلم نور إنما بالعلوم تنفي الشرور  
ضجرت من هذا السكون القبور انفضوا عنكم الخمول وثوروا  
أنا ناديت لو يثير المنادي

إنما العلم أصل ما نحتاج فيه نفع لنا وفيه ابتهاج  
فهو الرأس أو على الرأس تاج أو على التاج درة أو سراج  
مستنير كالكوكب الوراق (١)

وكان طبيعياً ألا يستقر جلال الخلافة في نفس الزهاوى طويلاً . فسرعان  
ما كشف عن برمه بالخليفة نفسه ، ولا سيما بعد أن يش من ولاته ، ورأى  
أن أمرهم لم يكن ذاتياً أو فردياً بل نهجوا خطة عامة تعمل لها الخلافة نفسها .  
فراح إلى الخليفة يقرعه ويهاجمه هجوماً عنيفاً لم نعرف له شهاً في المحدثين  
خلا (الرصافي) . وقد يكون ما وصم به الخليفة مشابهاً لكثير مما وصم به  
ولاته ، ولكنه أكثر العنف ، وربما كانت قصائده في هذا المجال أروع شعره  
وأعذب ، تحس فيها ثورة عارمة وشعور صادقا :

نحن في غفلة نيام وعنا  
 نحن في دولة تداركها الله  
 وعدها بالإصلاح جم ولكن  
 كم وكم في رجالها من جهول  
 نحن قوم قضت إرادة شخص  
 أيها الظالم اغتصبت حقوقا  
 نائبات الزمان غير نيام  
 تبيح المحظور للحكام  
 لا يجوز الإصلاح حد الكلام  
 صدره ساطع بأبهى وسام  
 واحد أن نعيش كالأنعام  
 قد حباها الأنام رب الأنام (١)

وقصيدته (حتم تغفل) من غرر شعره :

ألا فانتبه للأمر حتم تغفل  
 أعث بلدا منها نشأت فقد غدت  
 لقد نزع أم ربيت بحجرها  
 رعى الله ربعا كان بالأمس عامراً  
 أما علمتك الحال ما كنت تجهل  
 عليها عواد للدماء تعجل  
 وأنت عنها غافل لست تسأل  
 بأهليه وهو اليوم قفر معطل

\* \* \*

وما فئة الإصلاح إلا كبارق  
 لهم أثر للجور في كل بلدة  
 إذا نزلوا أرضا تفاقم خطبها  
 فمدت إلى سورية يد عسفهم  
 وبفداد دار العلم قد أصبحت بهم  
 لقد عبثت بالشعب أطاع ظالم  
 يغرك بالقطر الذي ليس ينزل  
 يمثل في أفعالهم ما يمثل  
 كأنهم فيها البلاء الموكل  
 تحملها من ظلمهم ما تحمل  
 يهددها داء من الجهل معضل  
 يحملهم من جورهم ما يحمل (٢)

وقال في قصيدة أخرى عنوانها (بأيدينا) :

ما أن تهضم سلطان رعيته  
 كانوا على الناس آباء أولى شفق  
 وكانت الناس في أيام دولتهم  
 إن الرعية أغنام يحد لهم  
 فالملك قبلك قد ربي سلاطينا  
 وفي الأرائك أملاكا خواقينا  
 لا يبخسون على الناس الموازيننا  
 ولاتك المستبدون السكاكيننا (٣)

(٢) الباب ص ١٤

(١) الكلم المنظوم ص ٦ - ٩

(٣) انظرها في الكلم المنظوم ص ٩ - ١٣ وفي المختار من شعره في هذا الكتاب .

ويكاد يكون شعره في هذه الحقبة الطويلة سجلاً صادقاً للأحداث العامة ،  
وللسبيل التي ساس بها العثمانيون الناس من إرهاب وتنكيل وتجسس وتعذيب  
ومطاردة . وتجدهذا واضحاً في قصيدته الطويلة ( أنين المفاقر ) التي نظمها في  
زمن الاستبداد بعد إرجاعه مخفوراً من الآستانة إلى بغداد .

ولقد شغلت السلطنة العثمانية حروب خارجية كثيرة مع اليونان والروس  
وغيرهم . فكان الولاة يعمدون إلى تجنيد العرب إلى ديار بعيدة يتركون  
وراءهم أهلهم وذويهم دون من يرعاهم ، ولم تكن الدولة ذات تدبير أو حزم  
للتعهدهم .

وقد صور شاعرنا البؤس الذي انتاب ذوى المقشرين على الانضمام في  
جيش السلطان ، وعمد في هذا التصوير إلى الأسلوب القصصى الذي التزمه  
في عرض كثير من المآسى الاجتماعية أيضاً ، وقد يذكر البطل الأحداث تفصيلاً .

وقصيدته ( أرملة الجندي ) (١) أسى ما نظم في هذا المجال :

ألا إنما هذا الذى لك أنقل	له مثلها أرويه أصل مؤصل
قضى أحد الضباط في الحرب نجبه	وكان إذا دارت رحى الحرب يبسل
وخلف زوجاً قلبها رهن حبه	وكان له قلب بها متشغل
من اللاء لم يأتين فاحشة ولا	زنن بما منه العقائل تحجل
نوار كشخص للعفاف مجسم	فان ذكر الناس العفاف تمثل
فجل لفقدان الولي مصابها	وبانت تناجى الهم والعين تهمل

\*\*\*

وفاجأها فقر فباعته لدفعه	أثاثاً به قد كانت الدار تجمل
إلى أن تخلى البيت من كل ما به	ولم يبق فيه ما يباع وينقل

تجانبها الأدنى وكل لداتها      وأعرض عنها جارها المتمول  
هنالك أبدى الجوع ناجذة لها      وزاد بها الداء الذى هو معضل  
فخارت قواها فى غضير شبابها      وحات فلم تدر الذى هى تفعل

\* \* \*

تروح إلى دار الحكومة تبتغى      معاشاً لها مستأخرا ليس يحصل  
ريالان بعد الزوج قدرتها لها      وذلك نذر ليس بالعيش يكفل  
تقول لذى أمر على المال سيدى      إليك بجاه المصطفى أتوسل  
أننى معاشى اليوم وارحم فاننا      جياع إذا لم تعط من أين نأكل  
فأوسعها شتما ورد سؤاها      وقال لها موتى طوى لست أبذل  
أمالك أمر المال انك زدتها      سقاما على سقم أقبلك جنذل

وكان للآلام التى خلقتها الحروب ، وويلاتها على الناس ، وللحالة المتردية  
التي نعص فيها أطفال المحاربين وزوجاتهم ، أثر كبير فى نفس الزهاوى . فلعن  
الحروب وأكثر الشكوى من ويلاتها ومصائبها ، وتجد فى هذا بعض لمحاته  
الإنسانية التى أرادها للبشرية جمعاء :

للحرب ويلات بنسبتها      هنالك تكبر  
للحرب كسر فى عظام رجالها لا تجبر  
الحرب للهوسين      هى الطريق الأوعر  
الحرب لولا أن تمسَّ      ضرورة لا تشهر  
تضنى الذى هو ظافر      وتذل من لا يظفر  
فى الحرب لا تلقى من      الفئتين من لا يخسر  
جو السلام إذا توقدت      الوغى يتعكر  
لله أطراف تطاير      أو بطون تبقر  
لله أجساد على      جنباتها تتكور (١)



وإذا كانت هذه القصيدة من نتاجه أيام الحكم الوطني ، فإن قصيدته  
(مشهد من الحرب الكبرى) من هذا الطراز الذي يصور آثام الحروب  
وويلاتها :

قد ولد الحرص حربا بين الوري وخصاما  
وشهدت الحرب نارا عمت تروع الأناما  
يا نار كوني علينا بردا وكوني سلاما

\* \* \*

في كل أرض وصقع مدافع ثائرات  
يقتلن كل قتي قد تفيد منه الحياة  
وليس يبقين إلا أراملا ويتامى

\* \* \*

تحوم في الجو طيا رات وتمطر نارا  
وتحصر البحر غوا صات وتهدي البوارا  
وتملأ البر دبا بات تقل الخماما

\* \* \*

هناك بحر خضم يجرى ليغمر بحرا  
هناك بركان نار تسعى لتأكل أخرى  
هناك جيش هام يوم جيشا لهاما

\* \* \*

القتل قتل ذريع والخطب خطب جسام  
فوق الرغام دماء يحمر منها الرغام  
الأرض تشرب منها ولا تبسل أواما

\* \* \*

في البر والبحر نار وفي السماء دوى  
وللرصاص أزين وللرجال هوى  
القتل يؤثر عمدا ولا يعد آثاما (١)

ولقد أيد الزهاوى مع المؤيدين حركة الاتحاديين فى إعلان الدستور ،  
ووجد فيها ما يواكب نفسه الثائرة ، وتسمعه يذيع فى الناس البشرى باعلان  
الحرية فى ظل الدستور الجديد :

البرق أهدى لنا بشرى بها أمنت أرواحنا بعد طول الخوف والرهب  
بشرى كما نبتغى الآمال صادقة أجلها الناس من قاص ومقرب  
لقد أقر لعمرى أعينا سخنت ما ناله فئة الأحرار من أرب  
صاحت لفرحة هذا العيد أفئدة كانت تن من الأرزاء والنوب  
صاحت شرورا وكانت قبل فرحتها تدعو على كربها بالويل والحرب (٢)

ولكنه يشور على عصبة الاتحاديين عندما غدروا بالعرب ، وقتلوا  
أحرارهم وطاردوهم :

فأذم بحزب جار وهو مهين وأقبح بحزب سعاد وهو يعول  
وأردل بحزب كان فى كل مطلب يميل مع الأيام حيث تميل  
ولن تسكت الأيام عن عصبة جنوا ولكن بما كالوا لهم ستيكيل (٣)

\* \* \*

ویدخل (الزهاوى) دوراً نحسا فى عهد الاحتلال البريطانى ، لأنه  
— كما قلت — قعد عن الثورة ورأى فيها وبالاعلى البلاد (٤) .  
وأغرب ما فى أمره أن اندفاعه المشهود ، وحماسه التى جاز خبرها

(١) ديوان الزهاوى ص ١١٤

(٢) الكلم المنظوم ص ١٨٦

(٣) من قصيدته فى رثاء الأحرار الذين شنتهم الاتحاديون فى سورية.

(٤) انظر مقدمة الرباعيات بقلمه.

حدود الرافدين ، قد اعترها صمت طويل ، وصحب هذا صخب عليه وتقول متضارب في وطنيته وقوميته . وقد عزز هذا التقول ما أسندته السلطة المحتلة من مناصب للزهاوى ، قد لا تكون أعلى منه مقاما ، ولكن الظروف التي عهدتها إليه نايبة جائرة ، فصارت وبالا عليه ، وظل في حيرة من أمره ، وصار الناس ينظرون إليه بعين الشك والريب ولا يطمئنون إليه ، فكثير أعداؤه ومقاوموه وكثير الذين يريدون أن يوقعوا به ، ويصيروا منه ضحكة . ولم يكن ليحتمل ما وقع له ، فظل مضطربا يخشى الناس ويتوهم أنهم سيوقعون به لا محالة .

وكأنه أدرك فشله بالمشاركة بأفسى محنة عرفتها بلاده ، فحاول أن يلوذ بالتقاليد التي رزح فيها الناس ، وبالمشكلات الاجتماعية التي تحفهم ، فحمل على العقائد البالية ، ودعا إلى التحرر الفسكرى ، ومساواة المرأة بالرجل - كما سيأتى هذا .

كان شعره في هذا الميدان منتزعا حقا من واقع المجتمع العراقى ، ولكن هذا كله لم يكفر عن سيئته عند الناس ، فحاول أكثر من مرة أن يهجر العراق ولا سيما بعد أن توالى عليه النقد والتجريح ، وألغى الحياة ببغداد ثقيلة على نفسه ، فقرر السفر إلى سورية بعد سنتين مضتا على الثورة ، ولكن اندلاع الثورة السورية أقعده عن هذا ، حتى أتاحت له الظروف بعدها فسافر إلى مصر .

ما عسى أن تفيد مثل المساعى	إن قضت بالحبوط فيها الدواعى
أنا والحق في العراق مضاعا	ن وما فيه غيرنا بمضاع
وإذا جرّت البقاع شقاء	لمقيم فتلك شر البقاع
ليس يدرى بما أقاسيه إلا	من تضاهى أوجاعه أوجاعى
أترى أن في العراق صحابا	لى إن ضعت يكبرون ضياعى
أو إذا ما أزمعت يوما رحىلا	عن بلادى بهم قومى زماعى
يا مراح الصبا وأرض شيبانى	ما طلبت الفراق لولا الدواعى

إنني قد دافعت عنك بشعري كشجاع فما أفاد دفاعي  
وإذا كانت الخصوم كشارا لم يكن ذا جدوى دفاع الشجاع (١)

\* \* \*

وقال في قصيدته ( عن بغداد ):

مقامك في الزوراء ، غير حميد      ولينك للأعداء غير مفيد  
وظنك حسنا بالليالي سفاهة      ورأيك في الأيام غير سديد  
سأرحل عن بغداد رحلة عائف      فقد طال في دار الهوان قعودي  
وأخرج من آلى ومالى وموطني      وما كان لي من طارف وتليد  
ولم أر في عمري كبغداد منزلا      به العلم لا يجزي بغير جحود  
رأيت بها بؤسا وشاهدت نعمة      فلم أسترح من شامت وحسود  
وكأفت أياما بها ولياليا      تسكران من بيض هناك وسود  
وعشت فلم يرعد لي العيش عندها      وما خير عيش لم يكن برغيد (٢)

ولم يستطيع ( الزهاوى ) أن يطيل مكثه خارج العراق . وكانت غيبته  
أستجماما ، وصدفت الناس عنه قليلا . فاستطاع بعد عودته أن يخوض  
غمار الأحداث العامة وأن يوقف نفسه لها ، فيثيرها ضجة على الحكومة ،  
كلها نقد مر ومطالبه بالإصلاح .

\* \* \*

ويبدو لنا في فترة الحكم الوطنى تفاوت ( الزهاوى ) بين الشدة واللين ،  
وثورة الساخط ووعظ الشيخ المجرب .

والحق أنه وقد بلغه الكبر ، جرت نفسه إلى نواح أخرى ، فانساب — شأن  
المنهزمين — فى مسائل فلسفية ولاذ بتأملات طبيعية شغلته كثيراً عن  
السياسة . وإذا كانت هذه الناحية فيه قد وهنت وشابت ، فإن تأمله الصوفى  
قد تهيأ له بعض الابداع الفنى .

وأول ما يلاحظ عليه في هذه الفترة إكثاره من المقارنة بين الغرب والشرق . فكأنه — وقد أدرك انهزام البلد عسكريا — أدرك معه أن ما يقومه ليرد عنف المستعمر ، التعلق بمقومات قوة المستعمر وعمادها ، فظل يدعو إلى التبصر بما عليه الغرب ويريد الشرق أن يحذو حذوه .

\*\*\*

قد طال للغرب فوق الأرض سلطان  
الغرب فيه نشاط خلف حاجته  
الغرب مستلب والشرق مهتضم  
إن لم تكن قوة للمرء بالغة

وطال في الشرق إقرار وإذعان  
يسعى ليلبغها والشرق كسلان  
والغرب منتبه والشرق وسنان  
فكل حق به قد لاذ بطلان (١)

\*\*\*

الشرق ما زال يجبو وهو مغتمض  
والغرب أبناؤه بالعلم قد سعدوا  
الغرب يشغله مال ومتربة  
الغرب عزّ بنوه أينما نزلوا

والغرب يركض وثبا وهو يقظان  
والشرق أهله في جهل كما كانوا  
والشرق يشغله كفر وإيمان  
والشرق إلا قليلا أهله هانوا

الطائرات وتلكم من مراكبهم  
أما مراكبنا في كل مرحلة

كأنها في عنان الجو عقبان  
فإنها ليعافير وبعران (٢)

\*\*\*

وللغرب أعوام وللشرق مثلها  
وفي الغرب أفراح وفي الشرق غمة  
شقيقان هذا يعل أبناءه بهم  
وتختلف الأخلاق إلا أقلها

ولسكننا الأعوام في الشرق تسّم  
وما الأرض إلا جنة وجنهم  
مضى وهذا يوم أهليه مظلم  
ويختلف التفكير والعرق والدم

بل اختلفا فالغرب منصرف القوى  
إلى فعله والشرق بالقول مغرم

(١) الأوشال ص ٤٦ وعى طوبلة نظمها بمناسبة وعد (بلفور) المعروف .

(٢) من قصيدته (إلى شيخ المعرة) الأوشال ص ٦٦

ونحن تثبطنا وهم قد تعجلوا ونحن تأخرنا وهم قد تقدموا  
وما كان مجد كان يمينه أهله كمجد بأيدي أهله يهدم  
أدير عيونى فى الوجوه فلا أرى سوى الذل مقروء ولا أتوسم  
يريدون ألا يشكو الحزن ناكل وألا يشن المشخن المتألم  
من الناس آلاف بعضهم الطوى وفى كل ألف واحد يتنعم (١)

\* \* \*

ولم يكن الحكم الوطنى فى العراق عهد ازدهار ناصع البياض ، خال  
من الشوائب والأشواك . ولا سيما ، أنه كان مقيداً بالاستشارة البريطانية ،  
أولاً ، ثم بالمعاهدة العراقية البريطانية .

وقد سجل ( الزهاوى ) سلسلة من مساوىء الحكم الذى رزح فيه العراق  
ومن يقرأ ديوانيه ( الأوشال ) و ( الثمالة ) ، يقف على مظاهر عامة لطبيعة  
تقلب السياسة وأحداثها فى العراق منذ الاحتلال حتى وفاته .

\* \* \*

ويل للمملكة قضى إهمالها من أهلها أن يفشل استقلالها  
ولبلدة منكوسة قد أنكبت عليها وتنعمت جهالها  
ولأمة بعد الوفاق تخالفت فتقطعت لخلافها أوصالها  
من كل عاصمة الرشيد لأهلها لم يبق إلا طيفها وخيالها  
عانت بها فتاكة أبناؤها فكأنما أبناؤها أغوالها  
تقفو خطى الآباء أنجال فما الآباء راشدة ولا أنجالها  
إن جد بين الغنى يوما والهدى حرب فأين من الوغى أبطالها  
دخل الذئاب حمى العرين تدوسه لا الأسد تحميه ولا أشبالها

\* \* \*

أما النجاح فلا نجاح لأمة ما أيدت أقوالها أفعالها

(١) الثمالة ص ١٠ وأنظر أيضاً قصائده (كان مالا يكون) و (لاتعيش الشعوب بالأحلام)

غلت فما أبدت أقل تدمر      قد صارعت آمالها آلامها  
لم يبق عند بني العراق سوى المنى      أما المنى فطويلة آجالها (١)

\* \* \*

تلغى معاهدة وأخرى تعقد      والشعب يستفتى لها ويهدد  
والشعب يطرى للجهالة خنجراً      في صدره عما قريب يغمد  
وكأن يوم الغاصبين لحقهم      ليل وهذا الليل بحر مزبد  
أما الزعيم فما تحرك ذاتدا      عن حقهم منه اللسان ولا اليد  
كنا نؤمل أن نراه منجدا      وإذا الذي هو منجد لا ينجد  
كسدت تجارة كل شيء عندهم      إلا النفاق فانه لا يكسد  
كل الذي فيهم قديم مخلق      إلا العداة فانه يتجدد  
الشعب بالقيد الثقيل مكبل      حتى يكاد إذا تحرك يقعد  
للبعض كوخ واطيء ولبعضهم      صرح كما شاء النعيم ممد  
هذا يضاجعه الرفاه وذاك في      سغب ينام وقد أقض المرقد (٢)

لا عليك أن تروح إلى أن (الزهاوي) قد شب ثائراً وصال صولة حر  
يريد لبلده استقلاله وحرية . ولكن هذه النزعة فيه ، وهذا الحماس الذي  
شب عليه قد عكسته ظروف الاحتلال فسكت سكوتاً شانه ، ونص عليه  
حياته ، فمات عند الناس قبل أن يموت . ولكنه استطاع أن يعيد لنفسه بعض  
مكائنها ، في الحكم الوطني ، فشارك في النضال مشاركة شيخ يميل إلى النصح  
تارة وإلى الثورة تارة ، فكان شعره يتفاوت تفاوتاً تجد فيه اندفاعه المعهود  
وخذلانه وانهمامه المعهود .

\* \* \*

(١) من قصيدة (ويل ثم ويل) يصور بها حالة العراق ويودع الأساتذة المصريين الذين  
زاروا العراق في شباط (فبراير) ١٩٣١ . انظرها في (الأوشال) ص ١١١  
(٢) الأوشال ص ٦٤ وعنوان القصيدة (يستفتى ويهدد)

## ٢ - شعره الاجتماعي

صحب التردى الاقتصادي الذي انتاب العراق طوال العهد العثماني موجة متعاقبة من الجهل ، والتمسك بالعادات البالية ، التي كانت نتائج طبيعية لما انتاب الناس . وبدأ أثر التحلل الخلقى والاجتماعى فى كثير من نواحي الحياة - فى السلب والنهب ، وقطع الطرق والزور والتملق للحاكمين ، وصحب هذا كله تعصب شنيع لكثير من العادات والتقاليد السخيفة .

وكان طبيعياً أن تستفحل هذه الأرزاء ما دام الناس يعانون أزمت خانقة . ويعيشون فى ظل نظم قصاراها أن تشدد وتستبد . ويبدو أن السلطة الحاكمة قد استهواها ما عليه الناس ، فسخرت فئة من مؤجريها ، يطوفون على الناس ليضللوهم ويباعدوا ما بينهم وبين ما به تيقظ أو التفات إلى إنسانيتهم . وكان لاتصال الشرق بالغرب فى أواخر القرن الماضى ، وللجمعيات والمنظمات التي أسسها العرب ، أثر فى شن حملة واسعة على ما به الناس ، وطلب الإصلاح الاجتماعى والعدالة الاجتماعية .

ونجد ( الزهاوى ) منذ نشأته يجند نفسه لهذه الدعوة ويعمل لها ، وقد انتظمت دعوته هذه منهجاً عملاً له عمره .

ومن يستعرض شعره يجده ذا طوابع متميزة ، يرجع كثير من تباينها إلى طبيعة الصورة الشعرية التي التزمها فى عرض فكرته أو دعوته .

فلقد كان ولوعاً من حدائته بالشعر القصصى يصور به بعض الأرزاء والأدواء التي حفت قومه . وليس الشعر القصصى بحديث فى العربية ، فقد عرفته بين الغزليين من العذريين والإباحيين ، وعرفته بين الغزليين المتعطفين ، ولكنها لم تعرفه اجتماعياً يحفل بالناس .

ولم يكن ( الزهاوى ) فريداً بين شعراء العراق فى هذا اللون الشعرى ، فأنت واجده فى شعر الرصافى والشيبى وغيرهما ، ولكن شاعرنا أكثر منه



حتى لتستطيع أن تدعى أنه كان الصورة المحببة إلى نفسه طوال العهد العثماني .  
وقد ترى في قصص ( الزهاوى ) ما لا تحمده عليه ولا يستهويك ،  
وقد ترى أكثر ما سرد بالأقصوصة النثرية أحرى وبها ألصق . وهذا العيب  
الظاهر في شعره القصصى قد يضاهى عيبه في قصائده ( الفلكية ) و( الطبيعية )  
إذا ارتضيت التعبير .

ومهما يكن من شيء فإن هذا اللون الشعري ذو قيمة اجتماعية ، تستطيع  
أن تتقصى منه ما شغل زمانه ، وبعض الأحداث التي عاصرها ، وترى فيه  
التفاننات إنسانية صادقة . وإذا فاتك أن تتمتع بتفاصيل قصته فلا يصدفك  
هذا عن التمتع بالأحداث التي صورت .

ويبدو أن ( الزهاوى ) قد عمد إلى وسيلة هذه ، فسرد في كل قصة من  
قصصه مأساة تصور جانباً ممتداً من الفوضى في حياة الناس ، وليست هذه  
الجوانب بيدع ، فقد تجدها في كل مكان ولكنها فشتت في العراق وغدت  
مظهر الحياة .

فقصيدته ( سليمان ودجلة ) (١) تصور حالة البؤس التي كان يلاقيها  
الضعفاء من العمال ، وتحكم السيدات الموسرات وطغيانهم على خدمن .  
وتصور ( إلى فزان ) (٢) تعسف الحكومة ونفيها الأبرياء من خلق الله  
وأخذهم بالشبهات إلى ديار بعيدة عن أهلهم وذويهم ، وتعذيبهم هناك وتقتيلهم .  
وفي ( مقتل ليل والربيع ) (٣) يبرم بالسلب والتعرض بالأبرياء والبريئات  
وإراقة دماهم لفقدان الأمن ، وترى النخمة نفسها في ( سعاد بعد زوجها ) (٤)  
وتصور ( يا ذكاء ) (٥) قصة شاب عضه الفقر ، وانتابه السل ، والآلام

(١) الكلم المنظوم ص ٦٦ (٢) الكلم المنظوم ص ٧٣

(٣) الكلم المنظوم ص ٧٧

(٤) » » » ١٣٥ وأنظر ( طاغية بغداد ) في ديوان الزهاوى ص ٧٣

(٥) » » » ١٢١

التي جرها فقره ومرضه حتى أرداه الموت . و ( سلى المطلقة ) (١) قصة شاب طائش تزوج فتاة ليعيث بما لها حتى إذا استنزفه هجرها ثم طلقها وارتى بأحضان أخرى موسرة .

لم يوفق ( الزهاوى ) - كما قلت - فى قصصه هذه فنيا ، فقد ظل شأن الخطيب يشخذ النخوة ، ويستثير الحكومة القائمة والناس ، وراح إلى تفاصيل يضيق بها الشعر ، وتنبو عنها مقوماته . ولقد أراد لها - كما يبدو - أن تشيع فى الناس ، وأراد أن يثيرها حملة على الحاكمين . ولم يوفق أيضاً وهو يكبد وراء تفاصيل قصصه إلى لمحات تحتضن طرفاً كبيراً من الإثارة والاندفاع . فكان أحداث قصته وأهوالها شغلته عن هذا ، وحسى أن أروى طرفاً من قصته ( إلى فزان ) :

شتاء وريح فى دجى الليل زعزع	تكاد بها جدر المنازل تقلع
مورعد يصم الأذن صوت دويه	وبرق سحب بالتتابع يلعب
لقد حاربت بعض الطبيعة بعضها	فزال بها الأذن وصال المرفع
سما بداجى الليل قد ثار غيظها	وأرض بما فيها تن وتجزع
فقد سمعت فى ليلة مثل هذه	إلى الباب (سعد) أنه كان يقرع
فقال وفى القلب اضطراب لزوجها	(نديم) وقيت الحادثات أسمع
فقام وسعدى خلفه تسرع الخطى	إلى الباب يسعى فى الظلام ويهرع
وسامل من هذا الذى جاء طارقا	بحالك ليل كل ما فيه مفرع
أجيب أن أفتح يا نديم فإننا	بأمر من الوالى أتيناك نسرع
فسر معنا واحضر لديه معجلا	خطاك فمافى الوقت فضل يضيع
فقال عسى أن تمهلونى ليلتى	لصبح غد فالليل داج مروع
فقالوا له لا ريث فى الأمر والذى	تعذرت يا هذا به ليس ينفع
فقال لسعدى أنى بعد ساعة	إلى البيت لا تخشين شيئاً سأرجع

وسار على ومض من البرق لامع  
 وفكر طول الدرب في السبب الذي  
 ترى هل شكاني من شرير أو افتري  
 على كل حال فاطلابي بليلة  
 وأدخل في دارها شرط لها  
 فباغته ذاك الرئيس بقوله  
 جزاء كلام في الحكومة طاعن  
 فجاوبه والقلب للخوف راجف  
 فديتك ما هذا صحيحاً وإنه  
 ولو شئت أحضرت الشهود فربما  
 ترفقت فإني ذو عيال إذا خلا  
 فلي زوجة في البيت تحيماً وأمها  
 ترى أني يا سيدي لست جازعا  
 فقال له لا تكثرنّ فإنما  
 فقيد بإذلال وأركب بغلة

\* \* \*

مضت ساعة من بعد أخرى مخوفة  
 فزاد الذي في قلب سعدي من الأسي  
 تقول بإشفاق وفي كل ساعة  
 تأخر يا أمه بعد ذهابه  
 وما طلب الوالي نديماً وما له  
 وإن الذي مازال في الكسب شغله  
 أخاف عليه غدر أعدائه به  
 ولكن نديم ليس للبيت يرجع  
 عليه وأمسى فكرها يتوزع  
 إلى الباب من شبها كما تتطلع  
 نديم وإن الصبح قد كاد يطلع  
 لعمر ك في أمر الحكومة إصبع  
 فليس لأبواب السياسة يقرع  
 ولست بما تسليين يا أم أفتع

وإن فؤادى آه يا أم فاعلى  
 فما ذاق طعم النوم للصبح عينها  
 فلما استبان الصبح جاء لبيتها  
 فأخبر سعدى أنه سيق زوجها  
 يكاد عليه بالأسى يتصدع  
 ومن كان ينأى إلفه كيف يهجع  
 شفيق من الجيران عيناه تدمع  
 لفران منقيا فما فيه مطمع

\* \* \*

فصاحت لنفسى الويل بما أصابنى  
 نأوا بنديمى البر عنى فليتنى  
 ففى كل عضو لى أذى لفراقه  
 ولى بين أحناء الضلوع لفقده  
 تضم بتحنان إلى الصدر طفلها  
 وتسجع من حزن على فقد إلفها  
 وتدعووا بحر يا نديم وقلبها  
 أرى كل فتق سوف يرقع وهيه  
 فقد نابك الأفراح والجاه والغنى  
 قد استسهلوا ننى امرى وليسائلوا  
 فمن ذا وقد أقصوك عنا يعيشنا  
 لقد كنت لى زوجا وخلاحميا  
 سألزم بيتى غير بارزة إلى  
 تصاحبنى فى البيت أمى فإن أبت  
 على أننى أهوى الفضاء فإنه  
 وأهوى كذاك الشمس فيه لأنها  
 إذا هب أرواح النسيم فان لى  
 لقد كان واحراه ما منه أفرع  
 فداء له بما أصابوا وأوقعوا  
 كأن على جسمى أراقم تاسع  
 فؤاد بفورات الهموم مروع  
 وتبكى كما يبكى الحزين المفجع  
 نديم كما أن الحمامة تسجع  
 يكاد لداعى ما به يتقطع  
 وليس على الأيام وهيك يرقع  
 جميعا فانف العيش بعدك أجدع  
 فؤادى عن الهم الذى يتجرع  
 ومن ذاب به من ذاب به الجوع ندفع  
 يرد صروف الدهر عنى ويمنع  
 فضاء فى فى الدار مبكى ومجزع  
 يصاحبنى فيه الحنين المرجع  
 إذا ضاق صدرى بالهموم موسع  
 عليك إذا ما زرت فران تطلع  
 فؤاد إلى مرآك يصبو وينزع

وما سكنى فى الدار بعدك إنها بعينى إذا لم تسكن الدار بلقع

\*\*\*

ويبدو أنه نشط منذ شبابه إلى التبشير بالدعوة الفكرية الجديدة ، والحث عليها . والتنديد بما عليه القوم من جهل ضارب أطنا به ، وتمسك بتقاليد وعادات بالية كانوا يظنونها فرضاً من فروض الدين ، أو شعاراً من شعاره ، فحث على قبول المبادئ الجديدة والتبصر بها ، والانطلاق مما كبل الناس به أنفسهم وليس له سند فى الدين ولا فى أصوله .

بشوا بالسنة لكم من نار ما فى جماجمكم من الأفكار  
سيروا إلى غاياتكم فى جرأة كالسيل هداراً وكالإعصار  
ثوروا على العادات ثورة حائق وتمردوا حتى على الأقدار

\*\*\*

كونوا جميعاً سادة لثفوسكم فلعصر هذا سيد الأعصار  
وتقدموا متواثمين لتلحقوا بالسابقين الغر فى المضار  
لا تقبلوا فى الدين ما يروونه إلا إذا صح فى الأنظار  
إن اليقين لفى الشهود جميعه والشك كل الشك فى الإخبار  
أنصوا القديم وبالجديد توشحوا حتام تحتالون فى الأطار  
وتملصوا من نير كل خرافة خرقاء تلىق الريب فى الأفكار  
وتحرروا من قيد كل عقيدة سوداء ما فيها هدى للسارى  
قولوا الحقيقة جاهرين وأعلنوا للناس ما فيها من الأسرار  
هى عادة حسناء إن لم نحتفل بجمالها ذهبت إلى الأغيار  
أنسومها خسفا ونوسعها قلى يا للجهالة ثم يا للعار  
إن الحقائق كالصباح جميلة للناظرين وكالنجوم عوار (١)

وقد دفعه حماسه هذا واندفاعه إلى أن يندد بكثير مما عليه الجمهور (١) ويتطرف أحيانا فلا يرى في هذا النعيم الذي وعدوه به بعد موته إلا خداعا، والخير كل الخير في نعيم معجل .

وعدوني بعد الحمام نعيما لست ذاك النعيم قبيل الحمام (٢) وينعى على الناس قبولهم ما هم فيه ورضوخهم له ، وهذا التمسك بعادات قاتلة .

إننا لمربوطون من عاداتنا بسلاسل كسلاسل الأغلال (٣) ويرى أن علة ما وقع فيه القوم ابتلاء العراق بثلة رجعية لا تريد له نهضة ولا صلاحا ، خدعوا الناس حتى راقهم الهوان وارتضوه .

أبكي ومثلي بالبكاء حقيق آمال شعب ما لها تحقيق  
ولقد يذكرني بعز آفل برق له خلل السحاب خفوق  
منى العراق بثلة رجعية جو العراق بشعرهم مخنوق  
ما بال دنيا المسلمين تأخرت أهنالك شيء في الخفاء يعوق (٤)

\* \* \*

أبناء دجلة والفرات نيام عن حقها وتسرها الأحلام  
وإذا الحقائق لم تجد في أمة سندا تقوم مقامها الأوهام  
أثنيل بغداد الأديب سلامة أم ليس في بلد السلام سلام  
إن العراق به يعيش لشقوة شهب يسام الذل ثم يسام

(١) انظر : لغة العرب ج ٦ من السنة السادسة ، تقرير (الباب)

(٢) الباب ص ٢٧٢ وانظر قصيدته (الدمع ينطق) التي قامت عليها ضجة في (الباب)

ص ٢٢٢ وقصيدته ( الدنيا قبل الدين ) في الثمالة ص ٤٢ — ٤٥

(٣) الاوشال ص ٣٠

(٤) الاوشال ص ٥٠ — ٥١

ألفوه حتى صار فيهم طابعا من طول ما صفتهم الأيام  
لو كلفوا مشياً على أراسهم لمشوا كأن رؤوسهم أقدام (١)

\* \* \*

وقد فزع (الزهاوى) من التفاوت الطبقي الذى أكل البلاد، وأردى  
طبقة تعمل عمرها ليعيش نفر من الناس على رؤوسها، وأسهم بمحلمة إنسانية  
تجد صداها فى كثير من شعر معاصريه كالرصاصى (٢) والشيبى والكاظمى،  
وامتدت حتى بلغت أوجها الثائر عند (محمد مهدي الجواهري)

اجعل البأساء مقيا سا لسراء الحياة  
وانظر الأكواخ فى جنـب القصور الشاهقات (٣)  
أيها الشجعان ما قو لك فى الناس الجياع  
أتري أن لهم فى أرضهم حق المساعى (٤)

\* \* \*

جمعوا من ساكنى الأكواخ أموالا دثورا  
وأثروا فى جانب الأكواخ يذنون القصورا (٥)

\* \* \*

ولم يكن شأن غيره ليستوحى هذه الطبقة البائسة كثيراً، ولم يدفعه بؤسها  
إليها كثيراً، وكل ما تراه له لمحات خاطفة سريعة. وقد تكون قصيدته  
(نكبة الفلاح) (٦) و (أشبعوا غيرهم وباتوا جياعاً) فريدين فى هذا

(١) الاوشال ص ٥٠

(٢) انظر هذا تفصيلاً فى : الاتجاهات الأدبية فى العالم العربى الحديث: انيس المقدسى ج ٢

ص ٢٠ وبعدها.

(٣) رباعيات الزهاوى ص ٣٤ و (الباب) ص ١٢١

(٤) الباب ص ١٢١ والرباعيات ص ٣٤

(٥) المصدر نفسه

(٦) انظرها فى : الاوشال ص ٢٥

الميدان العكر، الذي وجد معاصروه فيه ما شحذ قريحتهم فانصرفوا إليه وأبدعوا .  
والواقع أن فيضان الفرات قد دفعه إلى التعرض بالفلاح في قصيدته الأولى ،  
وأن قصيدته الثانية تذكرنا بطابع شعره القصصي ، إذ نلح فيها روح الخطبة  
لا روح الشعر .

إن من كدوا يزرعون البقاعا	أشبعوا غيرهم وباتوا جيعا
ربح المالكون الأرض غصباً	ومضى كد الزارعين ضياعا
يفقر الدهر ألف بيت ليغنى	واحدا من أفراده جماعا
لا ترى بين أوليهم ثرياً	كانزاً للأموال أو مناعا
ومن العدل أن يكون تتاج الأ	رض بين المستثمرين مشاعا
إن بين الحق المحصص والبا	طل منذ الدهر القديم نزاعا
رضى العاملون بالوهد ماوى	وأبى المالكون إلا اليفاعا
أفريق يفوز بالعيش رغداً	وفريق يكابد الأوجاعا
إنما الدين وهو أكبر هاد	لا يراعى الألوان والأوضاعا
وكتاب الله العظيم يساوى	بين من كانوا سادة ورعاعا (١)

\* \* \*

وإذا أردت أن تقف على دعوة ناهضة حقما ، اعتصم بها رائدتها اعتصام  
مؤمن ، ووقف لها نفسه ، فإن الدعوة إلى (تحرير المرأة) قد كانت أسمى  
ما أبدعه الزهاوى فى الميدان الاجتماعى ، وأجود ما نظم .

ويتميز على معاصريه بانقطاعه إليها وتعلقه بها تعلقاً طغى على شعره .  
وقد كانت دعوته واضحة فى هذا الشأن ، عرض للأرزاء التى حفت المرأة  
فى العراق خاصة والشرق عامة فى عهده ، من حجاب ثقيل ، وقبوع فى بيتها ،  
وتشديد عليها وانتقاصها .



فالرجل سيدها ، يزوجها من يشاء ومتى يشاء ، ويطلقها متى يشاء ، وهى همل قصاراها أن تقبض وراء جدران بيتها ، والغريب أن نبل الرجل قد علق بها وحدها ، فهى إن أطلت على بيت جارها فقد ودعت الفضيلة وأهانت كرامة ذويها ، وهم فى حل من أمرها أن فسروا سلوكها تفسيراً شائناً فى عرفهم ، لهم أن يقتلوا ولهم أن يزيحوا عن دنياهم كما شاؤوا . وكان الرأى ألا تشقف وألا تشم نسيم الحياة ، فتعلمها عار عليها ، وإسهاها بميدان الرجل عار عليها ، فهى كالمتاع يرمى فى زاوية من زوايا الدار ، للرجل أن يقلبه ليتمتع به ، وله أن يبقيه هملاً .

ولقد كان للضجة التى أقامها الزهاوى ومعاصروه أثر كبير فى زحزحة كثير من التقاليد والعادات التى أضرت بالمرأة وضيقت خناقها ، فتنازع القوم الآراء الجديدة فيها — شأنهم فى كل جديد — ولقيت الدعوة مناصرين اعتصموا بها ، ولم تعدم نائرين عليها يرمين بها ، وجازت المسألة الحدود الطبيعية ، وأسلم النقاش فى شأن المرأة إلى نقاش فى الشريعة وأصولها ، ولم يتورع بعض المتعصبين من اتهام ذوى الدعوة الجديدة فى دينهم واعتبارهم مرقة مترندين خرجوا على الدين الخفيف . ولكن هذا كله لم يثنهم عن دعوتهم ، فقاوموا وناضلوا حتى بدت تباشير فلاح دعوتهم ؛ وأينعت ثمارها . وتتلخص دعوة الزهاوى فى مظاهر أربعة من حياة المرأة العراقية .

١ — الدعوة إلى السفور .

٢ — مكافحة تعدد الزوجات .

٣ — نقد طريقة الزواج .

٤ — الدعوة إلى تعليمها ومشاركتها بالحياة العامة .

وقد دعا إلى السفور أول عهده بالنظم ، فصرخ صرخات مؤثرة تحس فيها صدقه واندفاعه وطموحه إلى انقلاب فى حياة المجتمع يصحب تحرر المرأة وسفورها ؛ ورأى أن حجابها عار عليها ونكر ، وليس فى الشريعة

شفيع له أو مبرر ، وندد بما نسبوه إلى السفور من خروج على الفضيلة  
وإحذار إلى الرذيلة .

أسفري فالحجاب يا ابنة فهر	هو داء في الاجتماع وخيم
كل شيء إلى التجدد ماض	فلهذا يقر هذا القديم
لقد اعوج بالحجاب لهمرى	أمر دنيانا فهو لا يستقيم
انزعيه ومزقيه فقد أنكره الـ	عصر ناهضاً والحلوم
أسفري فالسفور للناس صبح	زاهر والحجاب ليل بهيم
وارجمي كل من يلومك فيه	إن شيطان اللائمين رجيم
لم يقل بالحجاب في شكله هذا	نبي ولا ارتضاه حكيم
هو في الشرع والطبيعة والأذوا	ق والعقل والضمير ذميم
السفور السفور فالهلك	للشعب أخيراً بدونه محتوم
زعموا أن في السفور اثلاما	كذبوا فالسفور طهر سليم
لا يبق عفة الفتاة حجاب	بل يقبها تثقيفها والعلوم
هذبوا أرواح العذارى لتبقى	سالمات من العذارى الجسوم (١)

\* \* \*

عزوا الحجاب إلى الكتا	ب ، فليتهم قرأوا الكتابا
إن التعصب مانع	أن تبصر العين الصوابا (٢)

\* \* \*

زعموا أن في السفور سقوطا	في المهاوى وأن فيه خرابا
وإذا ما طالبتهم بدليل	يثبت الدعوى أو سعوك سبابا

(١) الباب ص ٢٣٥ — ٢٣٦ و (الكلم المنظوم) ص ١٧٧ و ٩٠

(٢) الأوشال ص ١٨٠

كذبوا فالسفور عنوان طهر ليس يلقى معرفة وارتيابا

\* \* \*

وتحس إيمان (الزهاوى) بهذه الدعوة التى كانت فى عرف الناس ضللا ، وإقدامه عليها فى قصيدته (هى الحقيقة) ، التى نظمها بعد أن توالى الصخب وكثرت الضجة عليه ، وقاومه المتعصبون .

هى الحقيقة أرضاها وإن غضبوا	وأدعيها وإن صاحوا وإن جلبوا
أقولها غير هيّاب وإن حنقوا	وإن أهانوا وإن سبوا وإن ثلبوا
أن يقتلوني فكم من شاعر قتلوا	أو يسكبوني فكم من عالم نكبوا
ولست أول من أبدى نصيحته	لقومه فآتاه منهم العطب
يا قوم أتم على عي يضرّ بكم	أما هناك فقى للرشد ينتسب
أن السماء التى تعلو مراتبكم	منها لأجلكم الخيرات تنسكب
هو التعصب قد والله أخرجكم	عن الشعوب التى تسعى فتقترب
عن الذين أبوا إلا تقدمهم	عن الألى مشيهم نحو العلى خيب (١)

وكان كفاحه فى هذا الميدان مجتمعا ، فقد يدعو إلى السفور — ويندد بتعدد الزوجات ويدعو إلى انطلاق المرأة بالحياة العامة فى قصيدة واحدة ، وقد يتشبث بكل من هذه فى قصيدة واحدة ، وتبها له فى كثير من قصائده. نضج فى دلال على أصالة وإبداع .

ليس يرقى الانسان إلا إذا نالت رقياً لإنائهُ والذكور  
مثلا كل طائر بجناح واحد فى سمائه لا يطير (٢)

\* \* \*

(١) ديوان الزهاوى ص ٣٠٦ وانظر دعوته إلى السفور فى الديوان ص ٣٠٨ — ٣١٦

وذمه تعدد الزوجات فى الديوان ص ٦٨

(٢) الباب ص ٩٤

إنما المرأة والمرء سواء في الجدارة  
علموا المرأة فالمرأة عنوان الحضارة

\* \* \*

يرفع الشعب فريقان إنائه وذكر  
وهل الطائر إلا بجناحيه يطير (١)

\* \* \*

الناس في الشرق ضلوا سبيلهم وأضلوا  
وبالحياة استخفوا وبالحقوق أخلوا  
ظن النساء رجال صنفا أذاه يحل  
وأنهن كحيوان ليس يهديه عقل  
وأنهن متاع لهم من النفس يخلو  
وأنهن ملذات تشتهى وتمل  
لأربع محصنات منهن يكفل بع  
وكل ذلك منهم إذا تأملت جهل  
للرأة اليوم في مجالس القضاء محل  
للرأة اليوم في البرلمان عقد وحل  
للرأة اليوم في استكشاف الحقائق شغل  
للرأة اليوم في تحسين الحضارة فضل (٢)

وكان طبيعياً أن تفلح هذه الدعوة التي شغلت طلائع النهضة الاجتماعية  
في العراق في عهد مبكر . فتشارك الفتاة في التعليم ، وتهيأ لها المدارس ،  
وتخف وطأة المتعصبين ، ويمر الحجاب بأدوار ، ويرتضى الناس تخفيفه .

(١) الباب ص ١٢٦

(٢) ديوان الزهاوي ص ٣١١ وأنظر (زواج الاكراه) ص ٣١٤ ، وللأب ص ٢٥٤

وسرعان ما بانته وجوه النشء الجديد من المتعلبات سافرة ، فاستبشر الزهاوى وعلا صوته مغرداً قبل أكثر من عشرين عاماً .

من بعد ما انتظرت حجاباً      ثارت فمزقت الحجاباً  
عربية عرفت أخيراً      كيف تنبذ ما أرابا  
كان الحجاب يسومها      خسفا ويرهقها عذابا  
وسيطلب التاريخ من      ناس لها ظلها حسابا  
سألت لها حرية      منهم فما لقيت جوابا  
حتى إذا ما استيأست      خرقت بأيديها النقابا  
فأرت أمام سفورها      للهجد آمنة رحابا  
ذهبت كزوبعة لها      صخب فأخذت الذهابا (١)

ولا تحسبن هذا الذى تطالع إليه واستبشر به ، ثورة ثارتها المرأة متعمدة على حجابها ، لكن المقام حبيت للزهاوى أن يجعل من المرأة مغلوبا غالب الدهر حتى غلب ، والواقع أن الاستجابة للسفور وطلب العلم والمشاركة ببعض ميادين الحياة قد حبت إلى الناس ، وانصرف كثير من الآباء عما ظنوه من تقاليد الحياة السليمة .

وليس تراث الزهاوى الشعري فى هذا الميدان خاصة مما نظن له الخلود ، لأنه عرك مشكلات غير خالدة ، ولم يكن مستوحيا ؛ بل غلبت عليه نزعة إيعاظ ، وأخذ بالتفاصيل والجزئيات التى تباعد الشعر عن الخلود . ولا ننكر عليه بعض اللهجات الأصلية فى بعض قصائده ، وهذه وحدها ستردها الأيام . وإذا فات الابداع الفنى الخالد كثيراً من شعره هذا ، فإن فى ثناياه ما يكشف عن صفحة من محنة العقل فى بلدنا ؛ وما زال البعض جاثماً راسخاً ، لأن باعته الأصيل قائم ، تلهى عنه الذين وهبوا أنفسهم للإصلاح .

## الفصل الرابع

### ثورة في الجحيم

ملحمة عدتها (٤٣٥) بيتا ، التزم فيها قافية واحدة ونشرها عام ١٩٢٩ فأثارت ضجة ، وكان لها صدى في الشرق والغرب ، وتصدى لها كثير من الأدباء تعليقا وتجيحا ، برم بها المتزمتون من معاصريه ، ونددوا به وحنقوا عليه ، ولم يتوان بعضهم عن أن يشكوا لجلالة الملك (فيصل الأول) ، وقالوا إن الملك عاتبه عليها ، فلم يجد بدأ من أن يصرخ بين يديه : ماذا أصنع ياسيدي ! ، عجزت عن إضرام الثورة في الأرض فأضرمتها في السماء (١)

وما من شك في أن (ثورة الزهاوى) صدى لثورة (أبى العلاء المعرى) من قبله ، فقد تأثر (برسالة الغفران) تأثراً واضحاً ، في الفكرة ذاتها وفي كثير من المشاهد التي عرض لها ، من تصوير أهل الجنة والنار ، ومن ألفى هنا وهناك .

وتأثر بتيارات أخرى أدركها خلال اللغة التركية التي كان يتقنها ، والتي تهيأ لها اتصال مباشر بالفكر الغربي الحديث قبل العربية .

فليس من شك أنه قرأ (الكوميديا الألهية) لدانتى وأعجب بها ، فلقد عنى الفيلسوف التركي (رضا توفيق) بتأخيصها والتعليق عليها برسالة طويلة صيرها مقدمة لبحثه المعروف عن (رسالة الغفران) لأبى العلاء .

ويرى الأستاذ (إسماعيل أدهم) (٢) ، أن الزهاوى كان مولعاً بشاعر

(١) أنظر مجلة الرسالة عدد ١٩٣ مارس ١٩٣٧

(٢) مجلة الأمام . مارس ١٩٣٧

الأتراك الكبير (عبد الحق حامد)، أعجب به وقلّب كثيرا من كتبه ، وراح إلى أنه استوحى بعض رواياته (فكتور هو جو) ولا سيما روايته (DIEN الله) و ( LA FIN DE SATAN : نهاية الشيطان ) . وقد عرف فلسفة (عبد الحق) و (هوجو) مما كتبه (رضا توفيق) أيضا . فلقد جنح شاعر الأتراك الكبير بعد وفاة زوجته لتأمل الوجود والفناء ، والخلود ، والطبيعة وبت كثيرا من تأملاته وآرائه الفلسفية في دواوينه .

وكان (رضا توفيق) بارعا باستقصاء هذه الفلسفة وتحليلها ومناقشتها ، وجرّه هذا إلى مقارنة كثيرة من آراء (فكتور هو جو) برواياته المعروفة ، فلخصهما تلخيصا متقنا أبقى على روحهما .

قرأ الزهاوى هذا كله ، وتأثر - دون شك - به كله ، واستوحاه كثيرا . فبشكل ملحمة ومجراها كبيرا الشبه بما نعرفه في رسالة المعرى ، ونرى كثيرا من العبارات التي يسوقها (هوجو) على ألسنة الملاك الذي اتخذه رمز العقلية ، والبومة التي اتخذها رمز التشكك ، والغراب الذي اتخذه ، رمز المزدكية . والوطواط الذي كان رمز الإلحاد ، يسوقها الزهاوى على ألسنة أشخاص في الجحيم ، وذلك بما يقرب من النصوص التي لخصها (رضا توفيق) عن الفرنسية في كتابه عن (عبد الحق) .

ومهما يكن من شيء فإن الزهاوى استوحى السبيل العامة التي انتهجها ، واستوحى كثيرا من التفاصيل ، ولكنّه برع في بث آرائه في الاجتماع، وثورته على التقاليد التي ظنها الكثيرون من أصول الدين . وصور ما أخذ به الناس في هذه تصورا أسبغ على ملحمة رواء فنيا ، وأسلوبا ساخرأ مؤثرا .

وخلاصة ملحمة أن الشاعر يموت ويودع القبر ، فيظهر (منكروناكبير) ملكا الحساب كما لقنا ، فيصفهما وصفا رائعا تجذ ظلاله فيما يدور بين الناس عن هذين المسكين .

لها وجهان ابتنت فيهما الشرة عشا كلاهما قطير  
ولكل أنف غليظ طويل هو كالقرن بالانطاح جدير  
وبأيديهما أفاع غلاظ تتلوى مخوفة وتدور  
وإلى العيون ترسل نارا شرها من وميضها مستطير  
كنت في رقدة بقبرى إلى أن أيقظانى منها وعاد الشعور  
ولم ينس أن يصور ما اعتوره دونهما ، وكيف ضاق به قبره ، وهلح  
صدره ، ولكنه لم نفسه وجأشه ، فراح يجيب عن أسئلتها .  
وأول ما يدهم به الشاعر ، كما هو الشائع بين الناس — أسئلة عن دينه  
وإيمانه ، وهل ارتضى الإسلام أو أنكره . وتحس في هذا تنديد الزهاوى  
بالخرافات الشائعة ، وميله إلى (العقلية).

قال من أنت وهو ينظر شررا قلت شيخ فى لحده مقبور  
قال ماذا أتيت إذ كنت حيا قلت كل الذى أتيت حقير  
قال ما دينك الذى أنت فى الد نسا عليه وأنت شيخ كبير  
قلت كان الإسلام دينى فيها وهو دين بالاحترام جدير  
قال من ذا عبت فقـلت الله ربى هو السميع البصير  
قال ماذا كانت حياتك قبلا يوم أنت الحر الطليق الغرير  
قلت لا تسألانى عن حياة لم يكن فى غضوننا لى حبور  
كنت عبداً مسيراً غير حر لا خيار له ولا تخيير  
كان خيراً منى الحجارة تشوى حيث لا أمر ولا مأمور  
قال هلا كسبت غير المعاصى قلت إن لم أكسب فربى غفور  
كان إثمى أنى إذا سألوني لم أقل ما يقوله الجمهور  
إنهم من أوهامهم فى إسار ولقد لا يرضيهم التحرير  
رب أمر يقول فى شأنه العتميل نقيض الذى يقول الضمير

ويروح المللكان يسألانه عن تفاصيل كثيرة فى العبادات والفروض  
الدينية الأخرى — فى أركان الإسلام الخمسة وهل أقامها ، وفى الجهاد



وهل نفر اليه . وهل آمن بالبعث والنشور والحشر والميزان ، والصراط  
والجنة والنار . ولم يتورع دون هذه الأسئلة المتبادية من الكشف عما اعتور  
نفسه وخالجها في هذه كلها ، وكأنه تقصى تبلبل أمرها في نفسه ، فلقد ملأ  
الشك صدره ، ثم عاوده الإيمان وحفه الإلحاد ، وظل لا يدري ماهو عليه .

كان إيماني في شباني جمأ ما به نزرة ولا تقصير  
غير أن الشكوك هبت تلاحيه حتى فلم يستقر مني الشعور  
ثم عاد الايمان يقوى إلى أن سله الشيطان الرجيم الغرور  
ثم آمنت ثم أهدت حتى قيل هذا مذنب مغرور  
ثم دافعت عنه بعد يقين مثل ما يفعل السكهي الجسور  
وتعمقت في العقائد حتى قيل هذا علامة تحرير  
ثم إني في الوقت هذا لخوفي لست أدري ماذا اعتقادي الأخير

ويمضى إلى وصف ( الصراط ) وصفاً ترى فيه نكراناً وسخرية ، ويتساءل  
تساؤل المنسکر ، إذا صح أنه كغرار السيف أو كالشعرة ، فكيف العبور  
عليه ، ولكنه يثنى ساخراً : إن الذين ضحوا بأكبش سيرون العبور هيناً ،  
ولو ضحى ( الشاعر ) بغير آسار على الصراط مرقلا به البعير .

لم يربنى أمر الصراط مقاما فوق واد من الجحيم يفور  
غير أن أجل ربي من إتيان ما يأباه الحجى والضمير  
فإذا صح أنه كغرار السيف أو شعرة فكيف العبور  
ولعل الذين ضحوا بأكبش عليهم بها يهون المرور  
أنا لو كنت بالبعير أضحي سار بي مرقلا عليه البعير  
ولا يثنى المملكان ، بل يلحان في التساؤل عن أشياء أخر ، عن الملائكة  
والشياطين ، العفاريت ، وما رأى في هذا جميعا ، ويظل عقلياً كما هو شأنه  
لا يرضى إلا بما يدعمه العقل ويرضاه التفكير السليم .

غير أني أرتاب من كل ما قد عجز العقل عنه والتفكير  
لم يكن في السكتاب من خطأ كلا ولكن قد أخطأ التفسير

والغريب أن الزهاوى لا ينسى في ذلك الهول الذى هو فيه ، ( السفر  
والحجاب ) ، فكان أمرهما من أمور الآخرة ، ومما سيحاسب عليه المرء ،  
ويظل يدعو - على شأنه - للسفور ويدع :

إنما فى الحجاب شل لشعب وخفاء وفى السفر ظهور  
كيف يسمو إلى الحضارة شعب منه نصف عن نصفه مستور  
ليس يأتى شعب جلائل مالم تتقدم أناته والذكور  
أن فى رونق النهار لناسا لم يزل عن عيونها الديجور  
ويكشف عن رأيه فى ( الله ) القدير ومدى إيمانه به ، وينعى عليه خلق  
أبليس الذى يلقى فى النفوس الشكوك والضلال ، ويضيق بالملكين ويصخب  
ثائراً هائجاً ، ويقرعها تقرعاً مرأ :

قال إنى أرى بخدك تصغيراً فهل أنت يزدهيك الخرور  
قلت من مات لا يصغر خدا ليس بالموتى يخلق التصغير  
إنى أخشى الظالمين فلا أفضى إليهم بما برأسى يدور  
أى ذى مسكة يقول صريحا وعليه سيف الأذى مشهور  
فدعانى فى حفرتى مستريحا أنا من ضوضاء الحياة نفور  
أتركانى ولا تزيدا عنائى بسؤال فإننى موتور  
لم تصن من جرأة المستبدين على الهالكين حتى القبور  
قلت لما هبطت أعماق قبرى ليس خيرا من البطون الظهور  
ويؤثر أن يدفع إلى جهنم ولا يجيب عما ليس للإنسانية به من خير ، أو  
عليها منه شر ، أمور هى بذات الإنسان ولذاته ، فلماذا عافا التساؤل عن  
( جهاده فى سبيل الحقوق ) و ( زياده عن بلاده ) و ( وفائه ) و ( دفاعه عن  
النساء ) و ( نصرته للحق ) و ( عن صدقه ) ، ويختتم هذه الصرخة ببنت  
رائع حقاً .

أسكوت عن كل ما هو حق وسؤال عن كل ما هو زور

ولكن الملكين يصران على ما التزمه ، ويلحان عليه بأن يقول ما يرى  
في شأن ( يأجوج ومأجوج والسد ) و ( هاروت وما روت والسحر ) ، ولم  
يطيلا كثيرا وإياه ، حتى تلاه للجين ، وأذاقه العذاب :

وأمضاني بالمقامع ضرباً كدت منه في أرض قبري أغور  
لم يكن فيهما يثير حنانا جسد لي دام ودمع غزير  
ولقد صحت للمضاضة أبغى لي مجيراً وأين مني المجير  
ثم صبا بقسوة فوق رأسي قطرانا لسوء حظي يفور  
فشوى رأسي ثم وجهي حتى بان مثل المجدور فيه بثور  
ثم أحسست أن رأسي يغلي مثلها تغلي بالوقود القدور

وبعد أن صبا عليه العذاب الأليم ، أيما إلا أن يبعثا في نفسه الحشرات  
والآلام ، فأخذا يطوفان به في الجنة ليرياه نعيمها الذي حرمه . ويصف هذا  
النعيم وصفا لا تجد فيه جديدا لم تسمعه ولم تقرأه ، وجله صدى لأوصاف  
الجنة وخيراتها وصورها في القرآن الكريم ، ولقد سخر بالخور خاصة  
ووصفهن بالخزى .

وعلى تللكم الأسرة حور في حلى لها ونعم الخور  
ليس يخشين في المجانة عارا وإن اهتز تحتهم السرير  
ولم يطل مكثه فيها ، فقد أخذوا به إلى النار ، وجد في وصفها بما يضاها  
أوصاف الجنة روعة ، وأكثر معانيه مستوحاة مما نعرف عن النار وما جاء  
في القرآن الكريم أيضا .

ويزدري بمن حشروا في الجنة ، فكلمهم من طبقة لم يدركها التفكير والوعي .  
إنما مشى الجاهلين جنان شاهقات القصور فيها الخور  
وصارت النار مأوى المحبين ، فيها رأى ( ليلاه ) وحسناء أخرى تبكي  
حبيبها الذي أبعده عنها إلى الجنة ، وفيها طليعة الشعراء والفلاسفة والمفكرين

فيها (الفردق وصاحباة) ، وفيها (المتنبى والمعرى) و (أبو نواس)  
و (دانتى) و (شكسبير) و (امرؤ القيس) ، وفيها (عمر الخيام)  
يتغنى منشدا :

حبذا خمرة تعين على النيران حتى إذا ذكت لا تضير

وتسلى من اللهب فلا يبقى متى شب منه إلا النور

إسقى خمرة لعلى بها أرجع شيئا مما سبتنى السعير

واصلينى بالله أيتها الخمرة إنى امرؤ إليك فقير

وفيها (سقراط) يلقي خطبته ، وبجانبه (أفلاطون) و (أرسطو)

وهناك (كوبرنيكس) و (دارون) و (هيكل) و (سبنسر) و (نيوتن)

و (روسو) و (فولتير) و (الكندى) و (ابن سينا) و (ابن رشد) .

وجماعات غيرهم كلهم جلد على نارها وكلهم صبور .

ويبرم هذا الجمع بما هو فيه ، ويديتون الثورة على هذا الجور والطغيان ،

فيخترع أحدهم آلة تطفىء السعير ، ويخترع آخر شيئا يهلك الناس مرة واحدة

ويعرف ثالث شيئا يخفى الإنسان فلا يرى .

ويقف أحدهم خطيباً تحيط به الملايين الموتورة من أهل النار .

قال يا قومنا جهنم غصت بالألى يظلمون منكم فتوروا

قال يا قومنا أرى الأمر من سوء.. الى الأسوأ الأَمْض يسير

قال يا قومنا احتملت من الحيف ثقلا يعيا بهن البعير

قال يا قوم إننا قد ظلمنا شر ظلم فما لنا لا نشور

قال يا قومنا لا تخافوا فما فو ق شرور تكابدون شرور

الأهل الجحيم بؤس وتعس ولمن حل فى الجنان سرور

ألنا أسفل الجحيم مقام ولهم فى أعلى الجنان قصور

إن أهل القضاء ما أنصفوكم فسكان القلوب منهم صخور

وتحفز أهل الجحيم وماجوا ، ولبسوا عدة الكفاح وزحفوا للقتال .

وأبى الزهاوى ، إلا أن يجعل من « أبى العلاء » قائدا للجاهير ينشد الشعر  
ليشير فيهم العزم وهم وراءه يرددون .

المعري : غضبوا حقا فيا قوم ثوروا إن غضب الحقوق ظلم كبير  
الجمهور : غضبوا حقنا ولم ينصفونا إنما نحن للحقوق نشور  
المعري : لكم الأكواخ المشيدة بالنهار وللبله في الجنان قصور  
الجمهور : غضبوا حقنا ولم ينصفونا إنما نحن للحقوق نشور  
المعري : إن خضعتم فما لكم من نصيب في طوال الدهور إلا السعير  
الجمهور : غضبوا حقنا ولم ينصفونا إنما نحن للحقوق نشور  
المعري : ما حياة الإنسان إلا جهاد إنما تؤثر السكون القبور  
الجمهور : غضبوا حقنا ولم ينصفونا إنما نحن للحقوق نشور  
وتسرع الزبانية حيال هذا الجمع ، وتعلوا حرب ضروس ينجد الشياطين  
فيها أهل النار ، والملائكة زبانيةها ، وتستمر حرب طاحنة ، يبدع الزهاوى  
في وصف أهوالها ، وقد تكون من أجود قطعه فنية .  
وينهزم جيش الملائكة ، ويحتل أهل الجحيم الجنة ، ويقيمون مهرجانا  
يحيون به النصر الذي حباهم .

وتلاقى فوق الجحيم الفريقا . . . ن وهذا نار وهذا نور  
فصدام كما تصادم أجبال رواس ومثلهن بحور  
وصراخ الجرحي إلى العرش يعلو وجروح المجندلين تغور  
يترامون بالصواعق صفين فيشتد القتال والتدمير  
حاربوا بالرياح هوجا وبالاعصار في ناره تذوب الصخور  
حاربوا بالبروق تومض والرعد فيغلي من صوته التامور (١)  
حاربوا بالبحار تلتقي على الجيش بحول وماؤها مسعور  
حاربوا بالجبال تقذف بالأيدى تساعا كأنهن قشور

بالبراكين ثائرات جرت من حمم فيها أبحر ونهور  
وقد اهتز عرش ربك من بعد سكون والدائرات تدور  
وفي هذا يفتق (الزهاوى) من حلم طويل ، فيه غصص وآلام ، وفيه  
تطواف سريع عند نعيم وجحيم ، وقاتل احتدم فأعقبه النصر .

وتنهت من منامى صباحا وإذا الشمس في السماء تنير  
وإذا الأمر ليس في الحق إلا حلاً قد أثاره الجرجير  
و (الجرجير) بقلعة وخيمة تؤكل ، جره إلى هذا الحلم الذى ترى فيه  
ثورته على كثير مما تفتياً به قومه ، وتحس تصويره لكثير من الآراء الشائعة  
في أمر الحساب والعقاب ، والدنيا والآخرة .

وإذا صدق ما حدثه (الزيات) عن موقف الزهاوى حيال (الملك فيصل)  
وصرخته بأنه عجز عن إعلان الثورة فى الأرض فأعلنها فى السماء ، فإن ما فى  
سماؤه هذه لصدى لما فى أرضه ، وإذا لذت بالمجاز أدركت ثورة الزهاوى  
فى الأرض متشبثاً بأهل السماء ، وأدركت فلسفة الرجل ، وكثيراً من آرائه  
فى شؤون الدين والدنيا .

والغريب أن الأدباء لم يعنوا بدراسة (الزهاوى) ولم يحفلوا به إلا لماماً ،  
فلقد كتبت عنه مقالات قصيرة ، طابعها صحفى نشرت مبعثرة هنا وهناك ،  
لا تستطيع أن تسمها بالنضج أو بما تسم به الدراسة العلمية ، وكتب عنه  
الأستاذ (روفائيل بطى) فصلين طويلين فى كتابيه (الأدب العصرى  
وسحر الشعر) .

وكانت محاولة الأستاذ (بطى) منذ أكثر من ثلاثين عاماً فاتحة مباركة  
لدراسة الأدب العراقى المعاصر ، فقد عنى بالشعر وكشف عن صفحات قد  
لا يدركها الناس لولاه ، وتهيأ للزهاوى من هذه الدراسة فصل طويل ظل  
أكثر من كتبوا عنه يرددونه أو يستوحونه ، ولا أظن الأستاذ (روفائيل بطى)

يدعى لما كتبه عن الرجل استقصاء شاملا وتحليلا ، ليكشف عن نواحي إبداعه وما أسهم به لنهضة الشعر وأسداه للأدب عامة ، وإن كان أول من أرخ لحياته واختار له مجموعة طيبة من شعره .

وكأنه أدرك هذا ، فوعد في كتابه أنه سيخرج على الناس بدراسة مفصلة عن ( فيلسوف بغداد في القرن العشرين ) ، وقد تصرمت ثلاثون عاما ولم نسمع شيئا عن هذا الفيلسوف التكد .

وظل الزهاوى هملا لم ينهض أديب لإحياء ديوانه ، ولم يذكر إلا في مناسبات عابرة حتى ظهر كتاب ( حقيقة الزهاوى ) للأستاذ (مهدي العبيدي) قبل سبعة أعوام .

وترى في كتاب الأستاذ العبيدي صدى ما في نفوس أكثر أدبائنا وشبابنا عن ( الزهاوى ) ، فلقد جار عليه وندد به .

## الفصل الخامس

### آثاره ومصادر دراساته ومختارات من شعره

( ١ )

ولع الزهاوى بتقليب شعره وتشذيبه وتهذيبه ، فتراه يؤلف ديوانا يضم نتاجه الشعرى فى فترة ، ويروح بعد أعوام يؤلف ديوانا آخر يضم إليه ما جد من نتاجه ، وكثيرا مما نشره فى ديوانه السابق . ولذلك كثرت مجموعاته الشعرية ، وجاء كثير مما حوت مكرورا .

وتراه فى ديوانه الأول (الكلم المنظوم) ، يجمع شعره دون التعلق بالغرض الشعرى ، بل يلتزم الاطراد الزمنى ، ويعدل عن هذه السبيل فى (ديوانه) فيؤوبه حسب الموضوعات ، ويعود إلى سبيله الأول فى مجموعاته الأخرى . ولقد طبعت دواوينه منذ زمن مبكر ، وأشرف عليها فى حياته ، ولم تلق عناية تليق بها ، أو تجرأ إليها طباعة ليس للفن فيها نصيب وأغلاط كثيرة مبثوثة .

وتكاد مؤلفاته ودواوينه تختفى من الأسواق ، وقد أكون صائبا إذا ادعت أنها اختفت .

ولا ننكر عليه أن (الزهاوى) قد مد يديه إلى بعض الذين ذكرهم وتأثر بهم ، وربما سطا على شيء من آرائهم ، ولكن للزهاوى أصالة وإبداع ، وله تجديد ودعوة ناهضة إليه ، كانت هذه كلها جديرة بالذكر وحرية بالإطراء والإكبار .



ويبدو أن بعض شعره — ولا سيما ما ظهر أيام الاحتلال ، قد أثار الأستاذ العبيدى عليه ، كما أثار كثيرا من الذين كتبوا عنه ، فأقبلوا عليه ساخطين .

ولم يعدم الزهاوى أدباء يدرسونه في البلاد العربية ، فلقد خصته مجلة ( الرسالة ) ببحوث كثيرة ، ومجلة المجمع العلمى العربى بالشام بمقالات أيضا ، ولكن طابع ما كتب عنه هنا وهناك عام ، وإن كان ظاهر الإبداع والتحقيق . وقد تكون دراسة المرحوم الأستاذ ( اسماعيل أدهم ) أعمق وأوسع ما ظهر عن شاعرنا حتى اليوم . نشرتها مجلة ( الإمام ) التى كانت تصدرها ندوة الثقافة بالإسكندرية بعنوان ( الزهاوى الشاعر ) ، عرض فيها لحياته تفصيلا ونشأته وثقافته ، وحلل مقومات شعره وفنونه ، وفصل القول فى فلسفته ليعزز رأيه الذى التزمه — والذى يخالفه عليه — وهو أن الزهاوى فيلسوف قبل أن يكون شاعرا ، وختم دراسته بتحليل موجز للمحمته ( ثورة فى الجحيم ) . وأحرى بهذه الدراسة الفذة أن تقرأ لأنها من البحوث التى انتظمتها خطة علمية وتبها لها تقصٍ شامل .

كل هذا يسلبنا إلى أن الزهاوى — شأن أدبائنا المحدثين — لم يوفَّ حقه درسا ، ولم يتبها لشعره أن يبعث ، ويجدر بنا أن نلتفت إلى هذين الجانبين لنضع بأيدي أبناء الجيل ما قد يرون فيه صفحة من التطور الأدبى والفكر فى بلدنا .

( ٢ )

آثاره :

١ — الكلم المنظوم  
طبع فى بيروت عام ١٩٠٨

٢ — ديوان الزهاوى

، ، مصر ، ١٩٢٤

- ٣ - رباعيات الزهاوي طبع في بيروت د ١٩٢٣  
 ٤ - اللباب د د بغداد د ١٩٢٨  
 ٥ - الأوشال د د د (ونشر بآخره ١٩٣٤)  
 قصيدته ثورة في الجحيم .  
 ٦ - الثمالة طبع في بغداد عام ١٩٣٩  
 ٧ - الكائنات د د القاهرة د ١٨٩٦  
 ٨ - عليا الفلسفة د د د ١٨٩٤  
 ٩ - قصة ليل وسمير نشرت بمجلة (لغة العرب) ج (١٠) من السنة الخامسة .  
 ١٠ - حكمت إسلامية درسلرى محاضرات بالتركية نشرت بالآستانة  
 ١١ - كتاب الفجر الصادق طبع في القاهرة عام ١٩٠٥  
 ١٢ - ترجمة (رباعيات الخيام) د د بغداد د ١٩٢٨  
 ١٣ - المجلد مما أرى د د مصر د ١٩٢٤  
 ١٤ - الجاذبية وتعليلها د د بغداد د ١٩١٠

( ٣ )

أشهر مصادر دراسته :

- ١ - الأدب العصري في العراق العربي : روفائيل بطي ، مصر ١٩٢٣  
 ٢ - سحر الشعر : د د د ، ١٩٢٣  
 ٣ - قلب العراق : أمين الريحاني ، بيروت ١٩٣٥  
 ٤ - الاتجاهات الأدبية في العالم العربي : أنيس المقدسي ، بيروت ١٩٥٢

الحديث

- ٥ - آداب العصر في شعراء الشام  
 والعراق ومصر : سعد ميخائيل  
 ٦ - حقيقة الزهاوي : مهدي العميدي

- ٧ - الآداب العربية في القرن التاسع عشر: لويس شيخو اليسوعي ،  
بيروت ١٩١٠
- ٨ - العراق في دورى الاحتلال والانتداب: عبد الرازق الحسنى ، صيدا  
١٩٣٥
- ٩ - دراسات في الشعر العربي المعاصر : شوقي ضيف، القاهرة ١٩٥٣
- ١٠ - Brockelmann ; Geschichte Der Arabischen Litreature —
- ١١ - Orientalische Literature zeitung XXIX, 1926 —
- ١٢ - H.A. R.Gibb; B.S. O. S.(university of London); 1928-1929 —
- ١٣ - Dr. widmer ; Iraqische dichter Gamil Sidqi Al-Zahawy —  
Aus-Bagdad
- ١٤ - Encyclopaedia of Islam —

- ١٥ - مجلة المعلم الجديد : بغداد عام ١٩٣٦
- ١٦ - مجلة لغة العرب : » » ١٩٢٨
- ١٧ - مجلة الحاصد : » » ١٩٣٦
- ١٨ - مجلة الأسبوع : » » ١٩٥٣
- ١٩ - مجلة البيان : النجف عام ١٩٤٧
- ٢٠ - مجلة العرفان : صيدا » ١٩١١
- ٢١ - مجلة المشرق : بيروت » ١٩٣٧
- ٢٢ - مجلة الرسالة : مصر » ١٩٣٧
- ٢٣ - مجلة الكاتب المصرى : » » ١٩٤٦
- ٢٤ - مجلة الهلال : » » ١٩٢٨
- ٢٥ - مجلة المقتطف : » » أعدادها الأولى
- ٢٦ - مجلة الأديب : بيروت » ١٩٤٨
- ٢٧ - مجلة الأمام : مصر » ١٩٣٧

- 1 - ...
- 2 - ...
- 3 - ...
- 4 - ...
- 5 - ...
- 6 - ...
- 7 - ...
- 8 - ...
- 9 - ...
- 10 - ...
- 11 - ...
- 12 - ...
- 13 - ...
- 14 - ...
- 15 - ...
- 16 - ...
- 17 - ...
- 18 - ...
- 19 - ...
- 20 - ...
- 21 - ...
- 22 - ...
- 23 - ...
- 24 - ...
- 25 - ...
- 26 - ...
- 27 - ...
- 28 - ...
- 29 - ...
- 30 - ...
- 31 - ...
- 32 - ...
- 33 - ...
- 34 - ...
- 35 - ...
- 36 - ...
- 37 - ...
- 38 - ...
- 39 - ...
- 40 - ...
- 41 - ...
- 42 - ...
- 43 - ...
- 44 - ...
- 45 - ...
- 46 - ...
- 47 - ...
- 48 - ...
- 49 - ...
- 50 - ...
- 51 - ...
- 52 - ...
- 53 - ...
- 54 - ...
- 55 - ...
- 56 - ...
- 57 - ...
- 58 - ...
- 59 - ...
- 60 - ...
- 61 - ...
- 62 - ...
- 63 - ...
- 64 - ...
- 65 - ...
- 66 - ...
- 67 - ...
- 68 - ...
- 69 - ...
- 70 - ...
- 71 - ...
- 72 - ...
- 73 - ...
- 74 - ...
- 75 - ...
- 76 - ...
- 77 - ...
- 78 - ...
- 79 - ...
- 80 - ...
- 81 - ...
- 82 - ...
- 83 - ...
- 84 - ...
- 85 - ...
- 86 - ...
- 87 - ...
- 88 - ...
- 89 - ...
- 90 - ...
- 91 - ...
- 92 - ...
- 93 - ...
- 94 - ...
- 95 - ...
- 96 - ...
- 97 - ...
- 98 - ...
- 99 - ...
- 100 - ...

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله رب العالمين

رمضان شهرنا المبارك  
عاشق الله ما نشكر  
الحمد لله الذي جعل  
العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض  
والحمد لله الذي جعل  
العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض

### المختار من شعره

العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض  
والحمد لله الذي جعل  
العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض  
والحمد لله الذي جعل  
العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض  
والحمد لله الذي جعل  
العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض  
والحمد لله الذي جعل  
العلم والفضل  
آياتا له في السموات  
والارض

## لعل له عذراً (١)

أتى غير مختار وفارق مضطرا  
وهل شكلوا منه الدماغ برأيه  
ولو أنه اسطاع الكلام بقبره  
حلا عنده الموت الذي قد حماه من  
نعم قدم الدنيا بغير اختياره  
أما لك يوم الدين لطفاً بحاله  
تمهل قليلا واستمع ما يقوله  
فأنت الذي بالخير كنت أمرته  
ترفق ولا تقذف بنار جهنم  
ولم يك لما عاش في نفسه حرا  
فيجلب بعض النفع أو يدفع الضرا  
إذاه قال ما أحلى الحمام وما أمرى  
إذا على عهد الحياة الذي مرا  
وسافر من غير اختيار إلى الأخرى  
فان الذي قد جاءه جاءه قسرا  
لعل له عذرا لعل له عذرا  
وأنت الذي قدرت أن يعصى الأمر  
فتى غير مستطيع على حرها صبرا

\* \* \*

لقد طال ليل المؤمن القانع الذي  
يؤمل بعد الموت عود حياته  
أيحيا امرؤ في القبر ميتا وإنما  
وكل امرئ يدرى شؤون حياته  
وكم غاصب مال اليتامى مبكر لأ  
سرى في ظلام الليل يطلب جاره  
يصلى جهارا في بياض نهاره  
ثوى في ظلام القبر ينتظر الفجرا  
فقد وعدوه بعد طى له نشر  
يموت الذي يحيا إذا سكن القبرا  
وأما الذي بعد الحياة فلا يدرى  
جل صلاة الصبح يرجوها الأجر  
ليسرقه شيئا فسبحان من أسرى  
ويسرق مال الناس في ليله سرا

\* \* \*

أيلقى (رنان) في الجحيم و (بخنز)  
مخلدة أرواحهم وجسومهم  
إذا نضجت بالنار فيها جلودهم  
وداروين من عن أصلنا كشف السترا  
هناك يقاسون المهانة والخر  
حباهم جلودا قهر بارئهم أخرى

ويحظى (عماد الدين) منا بحجة  
فقد بن أموالا لسفيان واعتدى  
تذكر قبل الموت أفعاله نعم  
أليس عماد الدين هذا الذي عدا  
يمر على ظهر الصراط وقد حكي  
صراط طويل دق كالشعر متمنه  
فيا عابرا فوق الصراط أخاف أن

\* \* \*

رويدك يا هذا فإن الذي به  
ألم تدر أن الناس في عصرنا الذي  
تفكر قليلا في مقال ذكرته  
جهلت اختيار الله فهو معذب  
ألا فاعتقد ما شئت إنا عصابة  
وأن لنا بالدين في الناس سؤددا  
وما أمة إلا تدين بصانع  
رضينا بدين الله ديناً وإنا

\* \* \*

رأيت فتاة في الطريق جميلة  
وقد كشفت عن وجهها من نقابها  
على حين كان الناس في صلواتهم  
أأنت الذي بالزعم تذكر أننا  
فتنكر بعد الموت عود حياتنا  
فقلت لها يا هذه ما أنا الذي  
فليس لنا في العلم ما قد يدلنا  
فقال وقد حزن الكلام بقلبها

تسد مثل السهم لي نظرا شزرا  
فخيل لي أني به ناظر بدرا  
يؤدونها والممتق خاليا صفرا  
إذا ما ردينا لم نعد مرة أخرى  
وتجحد في أقوالك الحشر والنشرا  
جحدت بل العلم الذي جحد الأمرا  
على أن للإنسان بعد البلي حشرا  
صدوعا ألا اقطع ما تريد له ذكرا

فلولم تسكن دار يجازى بها الفتى      تساوى إذا من يفعل الخير والشرا  
فولد ما قالت بعيني أدمعا      جرت فسقت خدى وجيئدى والنحرا

\* \* \*

ندمت على ما كنت فرطت قبل ذا      بسوء اعتقادلى إلى الكفر قد جراً  
لقد قلت قولاً باطلاً بجهالة      حنانك اللهم يا خالق غفراً  
فقد تبنت عما كنت معتقداً له      فإن لم تتب ربي على فوا خسراً  
شهدت بأن الله ربي واحد      تنزه عن عيب يشين له قدراً  
بسته أيام برى الخلق كله      وفى سابع الأيام فى عرشه قراً  
إذا شاء أمراً قال كن فيكون لا      يرى أبداً فى خلق ما شاء عسراً  
أزاعنى الشيطان عن منهج الهدى      وكان يمينى فأنحرفت إلى اليسرى  
ولم يشجنى شىء كمنظر غادة      قد اغتال كف الظلم حامياً غدراً  
فباتت تصيح الويل شبه حمامة      تنوح بداجى الليل من كبده حرى  
أضاعت نهاراً إليها فتبجست      تجدد بترداد الهديل له فكراً  
وأم أراها الحيف قتل وحيدها      فظلت من الأحزان كاسفة حسرى  
وقامت إلى شلولة متمزع      تخمش منها الوجه أو تلدم الصدرأ  
فلفته فى اكفان خز جديدة      ووارته فى قبر ولازمت القبرا  
ولو لم يكن ملحا أجاجاً دموعها      لأنبت من تسكأها القبر واخضراً  
مفجعة ليست بغير حمامها      تلاقى مع العسر الذى مضها يسراً  
عجوز أبت أن تسكن الدار إنها      رأأت دارها من بعد واحد ها قفراً

\* \* \*

نظرت إلى الشعرى ليل فهاجنى      تلالؤها حتى نظمت بها شعرا  
فكان مضيئاً فى معانيه مثلها      فقلت كذا فليحسن الشعر فى الشعرى  
أتيت به سهلاً يلذ سماعه      ولم أقتحم فى نظمه مسلكا وعرا  
وكيف ترى لا يعتلى نظم شاعر      رأى أنجم الجوزاء فى جوه نثرا  
كان الثريا كف خود تزينت      خواتيمها بالدر ما أحسن الدرا



وفي الجانب الشرقى أبصر نجمة  
 كما قد تمشت عادة فلكية  
 كأن على وجه السماء الذى صفا  
 جرت تبتغى شمس النهار كأنها  
 تطوف حوالى كعبة الشمس دورة  
 ذؤابتها من فضة أشربت تبراً  
 فأبقت بعلى الجو من خلفها أثراً  
 يدا بمداد النور قد كتبت سطراً  
 تبلغها أمراً فما أطف المجرى  
 وترجع أدرأجا إلى حيث لا يدري

### أنين الأوطان (١)

قد أسمعتك أنينها الأوطان  
 مدت إليك يد الشكاة لأنها  
 أدرك بها الضعفاء واستعجل فقد  
 إن كنت تنصرها وتحمى حوضها  
 أدرك بنصرك أمر قومك إنهم  
 وجرت دموع الحزن فوق حدود  
 لا بد من أن تستهل دموعه  
 قد يستدل على الحزين بدمعه  
 بضعيف صوت ملؤه الأشجان  
 قد عاث فيها الظلم والعدوان  
 عز النصير وقلت الأعوان  
 عن غاصب فلقد آق الإبان  
 ظلموا فريع الشيب والشبان  
 هم وتقرحت منهم بها الأجفان  
 من كان تضغط قلبه الأحزان  
 مثل الكتاب دليله العنوان

\* \* \*

يا غيرة الله ابطشى بعصابة  
 فلقد أهين العدل فى ديوانه  
 ولقد أهينت للمساجد حرمة  
 جعلوا الحكومة فى البلاد ذريعة  
 لا شىء يحظى من قلوب سراتهم  
 قوم جفأة ما لهم من رحمة  
 ألهاهم الجبروت والطغيان  
 ولقد أهين العلم والعرفان  
 وأهين فى محرابها القرآن  
 للغدر حتى رجت البلدان  
 بالحب إلا الأصفر الرنان  
 لولان صخر جامد ما لانوا

\* \* \*

لا يستطيع كخلقها الشيطان  
 إلا بأن تهتك النسوان  
 ظنوا بأن وقوفها عصيان  
 بقوى الرصاص كأنهم غزلان  
 من أن تنال حياتها النيران  
 إلا نساء الحى والولدان  
 وأتوا فظائع جمّة وأهانوا  
 هذا لعمر أبى هو الخسران  
 ثوب الخراب فما بها عمران  
 أهل ولا إنسانها إنسان  
 وأكلت ما لا يأكل الغرثان  
 حتام هذا الصد والهجران  
 يا عدل منك المظل والليان  
 يا عدل عنك بجالة سلوان  
 تتفارق الأرواح والأبدان  
 وتهدمت من دينك الأركان  
 للأقوياء وحيزت الأيمان  
 يا رب عم الزور والبهتان  
 فى المسلمين وإنهم إخوان  
 حتام هذا البغض والخذلان  
 حتام لا تتنبه الأذهان  
 والشر فيهم وحده يقظان  
 ونصيبنا من بينهم حرمان  
 من خطة فيها أذى وهوان

سلبوا القبائل ما لها بوسائل  
 لم يرتضوا من بعد سلب ثرائها  
 حتى إذا وقفت عن استرضائهم  
 فتواثبوا يتصيدون رجالها  
 وتهاربت منها البقية خشية  
 لم تبق فى تلك الديار أمامهم  
 فتفرق العادون بين بيوتها  
 يا ويلها بالمال منهم ما نجت  
 ويح المواطن إنها لبست بهم  
 محمورة فى عينهم لا أهلها  
 تالله يا طمع الولاة عرقتنا  
 يا عدل إنك أنت محبوب لنا  
 يا عدل ألق اليأس فى أرواحنا  
 يا عدل منذ صددت عنا ما لنا  
 يا عدل إنا قد تفارقنا كما  
 يارب قد شاع الفساد كما ترى  
 يارب قد بيعت حقوق ضعافنا  
 يارب ضاع الصدق بين سراتنا  
 حتام يختار الشقاق مقامه  
 حتام هذا الحقد بين رجالنا  
 حتام لا تأتى النفوس صلاحها  
 قوم لعمرى فى الجهالة نوم  
 كل الأنام تقدموا فى أمرهم  
 أنظر إلى إيران كيف تملصت

جاءت بإصلاح يعلى شأنها      لله ما جاءت به إيران  
عمدت إلى الشورى فسنت مجلسا      فيه لرأى الأمة السلطان  
رفعت لواء العدل فوق بلادها      حتى استوى المسكين والحقان

### بين دجلة والفرات (١)

بين أحناء دجلة والفرات      حي البؤس فوق أرض موات  
بعد أن كانت في القديم جنانا      باسقات الأشجار مشتبكات  
ورياضاً أنيقة وحياضاً      مترعات وأنهرأ جاريات  
وبساتين فوقها الطير تشدو      بشجي الألحان والنمات  
ورياحين من جميع صنوف الـ      زهر تهدي روائحا عطرات  
فترى الناس ينسلون إليها      رتعا في مروجها الخضلات  
فتحي وجوههم نفحات الـ      طيب محمولة على النسمات  
موقف للغرام في كل وجه      جامع للفتيان والفتيات  
ولديه ملاعب لظباء      حاليات كثيرة اللفات  
جنة عند جنة عند أخرى      هكذا يمتد دن متصلات  
تحتوي أنواعاً من الزهر شتى      وتعي أصنافاً من الثمرات  
أدخلوها يا أهلها بسلام      وكلوا ما شئتم من الطيبات

\* \* \*

غادرتها أيدي العداء جحما      بعد تلك الرياض والجنات  
من رأى الأرض في العراق مواتا      ذهبت ثم نفسه حسرات  
إن بين النهرين والأرض تشقى      لجنانا تبدلت فوات  
حييت بالعمران دهرأ طويلا      ثم ماتت من بعد تلك الحياة  
كل كون فإنه لفساد      كل جمع فإنه لشتات

أين أنهارها التي كن فيها  
 نهر عيسى وبيطر ورفيل  
 ما رأينا كمثل دجلة سطرأ  
 لا ولا كالفرات في الأرض نهرا  
 دجلة دجلة فلم تتغير  
 ما نضا الماء غير أن رجال ال  
 وانتهت سلطة البلاد لقوم  
 خلقوا للفساد والظلم والتخ  
 خلقوا لو أنا اتبهننا قليلا  
 جاريات طلقا على الجنبات  
 ودجيل وطابق والصراة  
 لو قرأنا صحائف الكائنات  
 صالحا للحيوان أو للنبات  
 وكذاك الفرات عين الفرات  
 ملك ماتوا في الأعصر الخاليات  
 خلقوا للرشي وللسرقات  
 ريب والنهب بعد والغارات  
 في سبيل ارتقاءنا عثرات

\* \* \*

### أيام بغداد (١)

أتعود بعد تصرم ونفاد  
 أيام بغداد التي في مرها  
 إذ ليس بغداد كما تلمي ولا  
 كانت محطا للعلوم وأهلها  
 اليوم هاتيك العلوم بأسرها  
 قد عاش دهرآ في نعيم أهلها  
 أيام مد الأمن وارف ظله  
 أيام بغداد تضى جميلة  
 أيعاد ما قد مر من عمرانها  
 لا ترجع الرغبات نحو عراضها  
 فتقوم فيها بالسداد حكومه  
 أيام بغداد إلى بغداد  
 كانت عوادى الدهر غير عوادى  
 حكام بغداد ذوى استبداد  
 وقرارة للوجد والإيجاد  
 مدفونة بمقابر الأجداد  
 فاذا النعيم وأهلها لنفاد  
 فيها فكانت جنة المرتاد  
 فتلوح مثل الكوكب الوقاد  
 أم ذلك العمران غير معاد  
 أو ترجع الأرواح للأجساد  
 وتزول عنها دولة الأوغاد

جاسوا المنازل مفسدين وأوقدوا نار الإساءة أيما إيقاد  
 إني أظنك لا ترى بمكانها من بعد بضع سنين غير رماد  
 فهناك أهل يجهلون حقوقهم وحكومة تعتسو ودهر عاد  
 هم أيدوا الحكام فى تدميرها فكأنهم لو يخجلون أعادى  
 لجأت إليهم حين عز نصيرها ولقد يجاء إلى ذوى الأحقاد  
 قضت الفظاظه فى طبائع أهلها أن لا يكون فؤادهم كفؤادى  
 قد زال عن بغداد كل حلاوة لكن كذاك لها قديم ودادى  
 فلها مع الجنف الذى ألقى بها ودّ بقلبي نال من أجلادى  
 بغداد تطلب ذاتى وأعزها فانظر لبعده البون فى الاضداد  
 وتريد موتى إذ أريد حياتها شتان بين مرادها ومرادى

\* \* \*

### كأن الشرق ليس له فم (١)

كفى الغرب فخرا أنه متقدم وأن له فى البر جيشا عمر مرما  
 نعم هو أرقى خطة بشرية سميت باتباع العلم والعلم سلم  
 ترقى فلها اشتد ساعده عتا فبات يفيض الشرق والشرق يكظم  
 يطيل على اجحافه واعتسافه سكوتا كأن الشرق ليس له فم  
 فى أيها الغرب المدل بنفسه رويدك ما هذا الجفاء المذمم  
 ألم يك هذا الشرق فى الزمن الذى مضى لك أستاذا كبيرا يعلم  
 مضى زمن للعلم والشرق زاهر على عهده والغرب إذ ذاك مظلم  
 فكانت سماء العلم فى الشرق تحتوى على أنجم والغرب ما فيه أنجم  
 وكان ظلام الجهل فى الغرب عابسا وكان ضياء العلم فى الشرق يبسم

فما كان يطغيه هناك رقيه ولا يزدهيه أنه متقدم

\*\*\*

فيا غرب لا تجرح من الشرق قلبه  
رويدك لا تغتر بالدهر كل ذا  
بماذا ترى أن ارتقاءك عهد  
أترجم أن الشرق يلبث صاعرا  
وتبقى عليه هكذا متسيطرا  
ألا اصبر عليه نصف قرن فإنه  
سينهض من بعد الخمول إلى العلى  
نعم فسدت في الشرق بعض عروقه

\*\*\*

سترقى بلاد الشرق بعد هبوطها  
يزول تماماً ما بها من تأخر  
هنا لك يحيا المجد من بعد موته  
فتمنحها من طيب نفس مجالسا  
وأن هي لا تعطى الرعايا حقوقها  
فتأخذ منها ما تريد بقوة  
وأما بقاء العلم عندك آلة  
لقد طال صبر الشرق يا غرب فازدجر

فإنك أن لم تزدجر سوف تندم  
تهكمت بالشرق احتقارا لأهله  
فيا غرب ما أن يفلح المتهمك  
قصصت جناحيه وحملت ظهره  
عنا وهو لا يشكو ولا يتبرم  
فألمت قلب الشرق والشرق صابر  
ولكن حين يصبر المتألم

\*\*\*

ضمن المجرة (١)

كم ضمن هاتيك السحاب وسط المجرة من كواكب  
 ليست كمنعم بعضهم نهرا يفيض على الجوانب  
 كلا ولا هي لو تعي زبد بوجه السيل ذائب  
 كلا ولا واد على طرفيه قد صفت كتائب  
 حيث الأسننة في خلال النقع تضحك والقواضب  
 أهناك جيش لا أبالك حدوه جيش محارب  
 كلا ولا سدم حوت غازا فهذا الظن كاذب  
 لكن شمس جاريات ضمن هاتيك السحاب  
 بل ليس هاتيك السحاب غير أنجمها الثواقب  
 الكل يذهب في الفضاء على اختلاف في المذاهب  
 العلم هذا رأيه فيها ورأى العلم صائب  
 يرضى به من كان ذا نظر بعين العقل ثاقب  
 لكن من جهل الحقا ثق من سماعته مغاضب  
 ومن المصائب أن تخاطب جاهلا ومن المصائب  
 أيجوز أن الأرض تسكن وحدها بين الكواكب  
 وتكون غير الأرض خالية كأمثال الخرائب  
 هذا لعمرى إن يصح فإنه لمن العجائب  
 إن الحياة تبين حيث ترى لها وسطا يناسب  
 ما أوحش الأجرام لا تمشى بها بيض كواعب

أرسلت طرفي (١)

أرسلت طرفي في الفضاء فلم يقف      فعلت أن البعد فيه سحق  
 ياطرف أرجو في سراك إلى العلى      أن لا يعوقك عنده العيوق  
 بين النجوم به وأنفسنا التي      تنوى الرحيل من الأثير طريق  
 الليل داج والطريق مخوفة      فضلت لولا الله والتوفيق

\* \* \*

الأقوياء بكل أرض قد قضوا      أن لا تراعي للضعيف حقوق  
 إن الشعوب لتستحق تساويا      لولا اختلاف بينها وفروق  
 إنى أخاف من انفجار هائل      فعلى النهى يتكاثر التضيق

\* \* \*

لو كان هذا الكون فيه وازع      ما كان يتسع الجدا ويضيق  
 يودى الفتى من حيث يسلم غيره      ما للسلامة منهج مطروق  
 الكون بجر من هيب لاهب      والناس فيه سابع وغريق  
 في كل حى شعلة من ناره      فكأتما هذى الحياة حريق

شهقات (٢)

(١)

ما إن يريد حياةً      في الذل إلا الجبان  
 نخشى المنون وشر      من المنون الهوان  
 لنا نريد أمانا      منه وفيه الأمان

(١) ديوان الزهاوى — ص ٣٣

(٢) ديوان الزهاوى — ص ٤٦



الأرض ليست بدار فيها الحقوق تصان  
 بين الذين عليها يحيون حرب عوان  
 لا تلحنى إن تأخرت يوم جد الرهان  
 فقد أردت لحاقا وما أراد الزمان

( ٢ )

إن السماء لتبغى فى كل يوم شهيدا  
 والأرض تعلن للناظرين قبرا جديدا  
 لا يوم إلا وفيه الإنسان يبكى فقيدا  
 مات الوحيد لأم فالأم تبكى الوحيدا  
 لقد شجاني صبي يلوى من اليتيم جيذا  
 كم قد طلبت سعيداً فما وجدت سعيداً  
 أن نيل بالعسف عيش فلا يكون رغيدا

( ٣ )

تقد أطبق الموت عينين من فتاة رداح  
 هوت بها وهى بكر يد بخير جناح  
 ماتت فنامت بقبر اعد غير فساح  
 ما للقيم به بعد أن ثوى من براح  
 يأتى على المرء فيه ليل لغير صباح  
 فزاره صاحب كا ن نضو حب صراح  
 يهدى إلى القبر زهرا من نرجس واقاحى

( ٤ )

غنت حمامة أيك غنى لنا يا حمامة  
 وبعد ذلك طيرى خفيفة بالسلامة

ألبرق يضحك في جوه وتبكي الغمامة  
 أكلها قلت شعرا قامت على القيامة  
 ندمت من كل ما قلته أثير الشهامة  
 نعم ندمت ولكن ماذا تفيد الندامة  
 إذا هجرت بلادى فما على ملامة

(٥)

لا شيء يبقى على ما شهدته مستمرا  
 فالبحر يطغى لمد والمد يعقب جزرا  
 كم غير الأرض من حادث على الأرض مرا  
 فصير البر بجزا وصير البحر برا  
 الأرض تضممر نارا والنار تضممر شرا  
 فقد تشق أديما لها وتحدث أمرا  
 وتجعل الظهر بطننا وتجعل البطن ظهرا

(٦)

للكون فيما بدا لي ظواهر وخفايا  
 ما قام فينا حكيم يحل بعض القضايا  
 إن المدينة حي والناس فيها خلايا  
 ما بالذكاء يسود الإنسان بل بالسجايا  
 والمرء يعرف منه الضمير عند الرزايا  
 ما زال في البعض من أميال الوحوش بقايا  
 أطماعه ليس تمضى حتى تجيء المنايا

(٧)

إذا أهين لبيب بالسب قال سلاما  
 وإن أفاد سكوت كان السكوت كلاما

يود من سيم خسفا لو استطاع انتقاما  
 قد بلل الدمع عند المساء خبز اليتامى  
 أشكو إلى الله عيشا مرا وداة عقاما  
 ليس النواميس في عالم الوجود لزاما  
 فقد وجدت نظاما وما وجدت نظاما

(٨)

ما للفضيلة تأتي بها الفتاة رواج  
 اليوم للناس في خطبة الثراء لجاج  
 تزوجت فأتاها بما يسوء الزواج  
 بكت فلا تمنعوها ان البكاء احتياج  
 بنى العروسان بيتا له الشقاء سيباج  
 لا ترج فيها امتزاجا فما هناك امتزاج  
 إذا تناسر زوجان فالفراق علاج

(٩)

لقد صمت وصمتي ما كان مني عيا  
 أتحسب الغي رشدا وتحسب الرشد غيا  
 تريد جاها ومالا دثرا وعيشا رضيا  
 وبسطة ومكانا من الحياة عليا  
 هيات ما أنت إلا ميت وان كنت حيا  
 يا شيخ هيا لنسعى معا إلى القبر هيا  
 فقد بلغنا كلانا من الحياة عتيا

(١) الشعر مرآة

إني امرؤ لا أجهر      ألا بما أنا أشعر  
 لا أطمئن لغير ما      أنا سامع أو مبصر  
 أنكرت ما حمد الوري      وحمدت ما قد أنكروا  
 أرتاب في نبأ به      يفضي إلى المخبر  
 بل لا أصدق منه شيئاً      قبلها      أتبصر  
 أما الخرافة فهي ما      عنه أفر وأنفر

\*\*\*

لا أقتفي أثر الغواني غير أني أنظر  
 عاشرني فرأيت كيف يعف مني المشر  
 لا أكبر الأشياء ليست في العواقب تشر  
 العقل من إكباره      تلك السخائف أكبر  
 قد آلموني بالقذيفة      والشتوم وأكثروا  
 وتعصبوا حتى رموني بالمروق وكفروا  
 إن نابتني شر فإني منه لا أتذمر  
 أو جاءني خير فلا أعتر منه وأبطر  
 أرد النمير وبعد ما أروى غليلي أصدر

\*\*\*

ولقد قنعت من الطعام ببلغة تيسر  
 لا كالذين على طعام واحد لم يصبروا  
 أو كالذين إذا تغيرت الظروف تغـيروا  
 أو كالذين إذا تجمهرت الرعاع تجمهروا

أو كالذين تذلوا أو كالذين تكبروا  
أو كالمناقج جاء يظهر غير ما هو يضر

\* \* \*

والشعر لست أقوله إلا كما أنا أشعر  
ما أن أقلد من مضت قبلى عليه الأعصر  
والشعر قائله بتقليد الطبيعة أجد  
إن الطبيعة مورد للشاربين ومصدر  
يجد المواضيع الكبيرة عندها المتفكر  
والشعر ليس سوى الذى هو للشعور مصور  
والشعر بالمعنى المطابق للحقيقة يكبر  
ولقد يثير عواطفاً من سامعيه ويسحر  
والشعر مرآة بها صور الطبيعة تظهر  
ليس القريض بطولة بل قد يفوق الأقصر  
ولقد يطيل قصيده فيجيد أشعث أغبر  
وإذا البراعة ووزنت يتقدم المتأخر

\* \* \*

أحسن بشعر عن شعور النفس جاء يعبر  
يرعاه شعب يستقل وأمة تتحرر  
ما للأديب بقطره فى الشرق قدر يذكر  
أما الشقاء فحظه منه الأتم الأوفر  
ولقد يصادف عزة من بعد ما هو يقبر  
من بعد ما فى قبره أوصاله تتبعثر  
ماذا من التسكريم يرجو ميت لا يشعر

\* \* \*

### الروح والجسم (١)

قد فارق الجسم يسمو بعدما هبطا  
لقد علا الروح بعد الجسم مرتقيا  
قد كان يضبطه إبان قوته  
احبس دموعك أو ارسل بوادرها  
ياراكبا باطل الآمال عن شطط  
روح به كان قبل الموت مرتبطا  
وقدهوى الجسم بعد الروح منهبطا  
حتى إذا دب فيه الوهن ما ضبطا  
فليس يرجع شيء بعد ما فرطا  
إني أعيدك من أن تركب الشططا

\* \* \*

ماذا الذي أحفظ العمال فاعتصبوا  
قد اهتدى من له علم بغايته  
ود الذي جهل الأشياء لو وصلت  
قد أفرط القوم إفراطا أضربهم  
ورب ناس رأوا في الوقت متسعاً  
ثاروا على العلم باسم الدين واحتقروا  
ولا أعاتب مضطرا له ربطوا  
إني لأسمع عن بعد لهم لغطا  
أما الذي هو ذو جهل فقد خبطا  
منه اليدان النجوم الزهر فالتقطا  
وقبل ذلك كانوا أمة وسطا  
وفي المكان الذي هم فيه منهبطا  
من ليس في زمرة الثوار منخرطاً  
كما أعاتب حرا نفسه ربطا

\* \* \*

ما كنت يوماً ببغداد أخاصدعة  
كالعندليب شدا للناس في قفص  
ما زلت في كل يوم ذر شارقه  
إن القنوط من الأعمال مهاسكة  
ولا بعيشي في بغداد مقتبطا  
بحيث يحيا بجبات لها التقطاً  
مكررا عملا لي طالما حبطا  
ويل لمن هو من أعماله قنطاً

\* \* \*

تغيرت فوق وجه الأرض أنظمة  
ألقى الحياة بهم تجرى بلا خطط  
بين الشعوب كفاح ثار ثائره  
حتى التوى الأمر بين الناس واختلطاً  
قوم لها وضعوا من أنفسهم خططاً  
وليس خوف على الشعب الذي نشطاً

وليس بين الفتى يوماً وحاجته  
 رأى القوى ضعافاً فهو يغمطهم  
 إن كان ذا همّة قعساء غير خطى  
 ولو رأى الأقوياء الغلب ما غمطاً  
 ما شمر الليل عن ساقيه منهزماً  
 حتى رأى الصبح مثل السيف مخترباً  
 لقد وجدت حياة الذل فاشية  
 والناس منقبضاً منها ومنبسطة  
 وللعيشة أنماط قد اختلفت  
 وكل قطر يراعى أهله نمطاً

أنين المفارق (١)

تبا الدهر بالاخوان حتى تمزعوا  
 وناهم خطب فشتت شملهم  
 وحتى خلت منهم ديار وأربع  
 وكان بهم شمل المسكارم يجمع  
 أحسن إلى عهد اللوى وهو منقض  
 وأبكى لناى الدار والدار بلقع

\*\*\*

ويمت دار الملك أحسب أنى  
 وإنى إذا ما قلت قولاً يفيد فى  
 إذا كنت فيها نازلاً أتمتع  
 مصالحها ألفت من هو يسمع  
 ولم أدر أنى راحل لحظة  
 إلى منزل فيه العزيز محقر  
 إلى بلد فيه النجيب مضيع  
 رداء به أهل الشنار تلفعوا  
 فهدت لهم فى البغى بوع وأذرع  
 عدولا فجاءوا بالذى هو أشنع  
 بها ووسامات على الصدر تلبع  
 فليس يحليه الوسام المرصع  
 إذا لم يكن فى فعله ما يرفع  
 ولا الرتب المعطاة ترفع شأنه

\*\*\*

ولما رأيت الغدر فى القوم شيمة  
 وأن الكلام الحق ينبذ جانباً  
 وأن مجال الظلم فيهم موسع  
 وأن أراجيف الوشاية تسمع

خشيت على نفسي فأزمت رجعة إلى بلدى من قبل أنى أصرع

(الموت لا يسأم) (١)

فريقان بينهما قد صفا الوفاق زمانا كما أعلم  
 فماذا الذى جرّ بينهما منازعة نارها تضرم  
 وشمرت الحرب عن ساقها وراحت لأرواحهم تلهم  
 وثارى الكمي على قرنه وأزبد للغيظ منه القم  
 وذلك يسقط من رمية وهذا يجندله الخدم  
 وصوت المدافع بين الصفوف كالرعد فى قصفه يهزم  
 تشير دخانا من الجانبين وجه السماء به أقتم  
 تسابق للناس فى المأزق القنابل والأجل المبرم  
 وتقتحم الحرب أبطالها فتنسأم والموت لا يسأم  
 بهم أم قشعم احدودقت فلا الأم كانت ولا قشعم  
 فيالك من حومة للوغى يسيل على جانبيها الدم  
 لقد حدت عنها إلى جانب فان الحياض هو الأسلم  
 دعانى لنصرته منهما فريق هو الطرف الأظلم  
 فقلت لهم أن هذا الخصاصم لى أن ولجت به مؤلم  
 دعونى يا قوم فى عزلتى فإنا منكم ولا منهم

المستنصرية (٢)

وقفت على المستنصرية باكياً ربوعاً بها للعلم أمست خواليا

(١) ديوان الزهاوى - ص ١٠٧

(٢) ديوان الزهاوى - ص ١٢٧



وأبكي بها الحسنى وأبكي المعاليا  
 وأنعي سجاياهم وأنعي المساعيا  
 ويأبين الا أن يفضن جواريها  
 كريماً فليت العهد لم يك ماضياً  
 من العلم حتى بل دمعي ردائياً  
 وحييت بالنسليم منها المغانيا  
 بناء لتشييد المعارف عالياً  
 فقلت كذا فليين من كان بانياً  
 وقسما على ما كان من قبل باقياً  
 فتلبسها ثوباً من النقع هائياً  
 تجد لها فيما تداعي مبانيا  
 وساءلت منهن الطول بوالياً  
 وقلت لتنادى الدرر حيث نادياً  
 نضيراً كما شاء التقدم نامياً  
 تصوِّح ذاك الروض فاجتث ذاوياً  
 بها يعلم الناس الحقائق ماهياً  
 تشعين نوراً للمعارف زاهياً  
 تقاسى من الجهل السكثيف الدياتياً  
 اليهم يحث الطالبون النواجياً  
 وكانوا جبالا للعلوم رواسياً  
 بهم يهتدى من كان في الليل سارياً  
 ويحيون في حل العويص اللياليا  
 وكانوا ألوفاً يملأون النواحيماً  
 فمالك نفع في السؤال ولا ليا  
 تجيمين من قد جاء للعلم راجياً

وقفت بها أبكي قديم حياتها  
 وقفت بها أبكي بشعري بناتها  
 أكفكف بالأيدي بواذر أدمعي  
 بكيت بها عهداً مضى في عراضها  
 بكيت بها المدفون في حجراتها  
 وطأطأت منى الرأس فيها تواضعاً  
 وسرحت أنظاري بها فوجدتها  
 بناء جسماً عز للعلم مثله  
 وألفيت قسماً قد تداعي جداره  
 تهب رياح الصيف في حجراتها  
 وتسعى على الجدران منها عناكب  
 فألمت فيها بالرسوم دوارساً  
 وقلت لدار البحث عظمت محفلاً  
 أجامعة العلم التي كان روضها  
 بأية ريح فيك هبت زعازع  
 لقد كنت فيما قد مضى دار حكمة  
 فكنت بأفق الشرق شمساً مضيئة  
 وكانت بلاد الغرب إذ ذاك في عمى  
 فأين رجال فيك كانوا مشائخاً  
 وكانوا بحاراً للعلوم عميقة  
 وكانوا مصابيح الهدى ونجومها  
 يمتون في نشر العلوم نهارهم  
 نواحيك من طلابها اليوم أقفرت  
 فقالت وراك الله لا تسألني  
 فقلت أجيبيني كما كنت سابقاً

وجرت على هذه البلاد دواها  
 فرفع مخفوضاً وسفل عالياً  
 بها كانت الأيام ترفع شأنها  
 تسر بكون الجهل في الناس فاشياً  
 يعلمه عن حقه أن يحاميا  
 بهار دحاً ألقى السلام المراسيا  
 تتابع أحداث يشين النواصيا  
 خرابي ولولاها لما كان دانياً  
 وقاسيت منهن الخطوب عواديا  
 رجال لشخص العلم كانوا أعاديا  
 مبان للنشر العلم عزت مبانيا  
 من العلم يا هذا إلى ما ترانيا  
 وقد عطل الجيد الذي كان حالياً  
 إذا بعث الرحمن للعلم راعياً

فقال ألت حادثات عظيمة  
 هناك استبد الدهر بالناس مبدلاً  
 هناك أضحلت دولة عربية  
 وعوض عنها دولة ثم دولة  
 وذلك لأن العلم للمرء مرشد  
 عرت نسكيات الدهر بغداد بعدما  
 فاذهب ما للعلم من رونق الصبا  
 وأدنى الذي قد نابها من نوائب  
 فكابدت منهن الصروف نوازلا  
 وأبدى على عزي القديم إهاتى  
 وأهملت حتى أنهد منى كما ترى  
 وصرت على حكم الذين تخوفوا  
 فقد ذوى الفصن الذي كان ناضراً  
 وكنت أرجى أن تعود عمارتى

\* \* \*

ومر الليالى يتبعن اللياليا  
 فمن لى أن ألقى الزمان مصافياً  
 وبعضى حوانيتاً وبعض ملاحياً  
 فماذا عسى من بعد ذا أن الأقبيا  
 ويدفع عنى وحشتى وظلاميا  
 ودجلة تجرى بالنمير أماميا  
 ولا كان ذلى هكذا اليوم بادياً  
 ولم يبق من آثارها الدهر باقياً  
 إذالم يكن منه له الله واقياً

لقد نقض الأيام بالعجم مروتى  
 ورنق عدوان الزمان معيشتى  
 فقد صيروا للفحم بعضى مخزناً  
 ولاقيت منهم كل خسف وجفوة  
 أيدت بلا ضوء ينير دجنتى  
 وأصدى فلا أسقى من الماء شربة  
 فياليتنى كنت أندرسى بأجمعى  
 كما قد عرى أختى النظامية الردى  
 وكل جديد سوف يرجع للبللى

## الشمس في الطلوع (١)

طلعت في جلالة ووقار من وراء التلاع شمس النهار  
 طلعت من حجابها كإله الحسب — في موكب من الأنوار  
 وتجلت مثل العروس بوجه نوره باهر أولى الأبصار  
 فكست منكب الربى حواليتها رداء مطرزا بالانضار  
 وأدرت على الرياض شعاعاً ليج في لثم مبسم الأزهار  
 كلها مس ظاهراً الأرض أعطى رونقاً للتراب والأحجار  
 ما تدانى الا أذاع نشاطاً لحياة الحيوان والأشجار  
 وله في جداول الروض رقص فوق سطح الماء الزلال الجارى  
 وأضاء الهواء فهو كبحر ماج في ليج نوره الموار  
 ان للشمس منظراً ليس يلقى مثله في النجوم والأقمار  
 منظراً راق حسنه غير أنى كل يوم أراه بالتكرار

## ليلة عاصفة (٢)

يصف بها ليلة تكاثفت فيها السحب وثارَت الزوابع فتتابع برقها وقصف  
 رعدھا وغزر مطرها حتى عظم السيل وخيف الغرق . .

يا أرض ماءك ابلعي ويا سماء أقلعي  
 ويا قوارع اهدئي ويا زوابع اهجعي  
 ويا بروق امسكي ويا غيوم اقشعي  
 قد بلغ السيل الزبي ولم يدع من موضع  
 بمثل هذا السيل في أعمارنا لم نسمع  
 كم غمرت مياهه من مربع فمربع

(١) ديوان الزهاوى — ص ١٢٩

(٢) » » — ص ١٣٣

يهطل ماء من سحبا      ب بالبخار مشبع  
 كأنه بحر هوى      من المحل الأرفع  
 حيث الظلام دامس      يفزع قلب الأروع  
 لقد مددت إصبعي      فلم أشاهد إصبعي  
 يا لك من ليل بهيم      للرجال مفزع  
 حتى إذا البرق بدا      عرفت منه موقعي  
 إذ سقطت صاعقة      في بيت جاري الأشفع  
 فكان من دويها      يفتق طبل مسمعي  
 وظلّ لي ذاهلا      كأنه ليس معي  
 أرى سيوفا أرهفت      من البروق اللع  
 ابيض منها الليل من      بعد سواد أسفع  
 كأنها أنياب غو      ل للورى مبتلع  
 وظل يرغو الرعد بعد البرق      فوق الأربع  
 كأنما يثور في السماء      الف مدفع  
 أردت أن أكلم البعض فلم أستطع      زوبعة شديدة  
 زوبعة شديدة      تأتي وراء زوبع  
 تخال أن البيت طائر بريح زعزع      وأنه منقلع  
 وأنه منقلع      وليس بالمنقلع  
 تلم في هبوبها      من الجهات الأربع  
 من هولها لم يبق في      الحياة لي من مطعم  
 يكاد يخطف الهيو      ن البرق بالتلع  
 الأرض من سخط السماء      بالغت في الجزع  
 يا لنفوس غاب عنها      الرشد فهي لا تعي

يا لقلوب خفقت بالخوف بين الأضلع  
وللنساء معولات من عظيم الهلع  
النساءحة (١)

وهي قصيدة يرثى بها من شنقهم جمال باشا في سوريا من أفاضل العرب:

### على الأعواد

على كل عود صاحب و خليل	وفي كل بيت رنة و عويل
وفي كل عين عبرة مهراقة	وفي كل قلب حسرة و غليل
علاها وما غير الفتوة سلم	« شباب تسامى للعلى و كهول »
كأن وجوه القوم فوق جذوعهم	نجوم سماء فى الصباح أفول
كأن الجذوع القائمات منابر	علت خطباء عودهن تقول
لقد ركبوا كور المطايا يحشهم	إلى الموت من وادى الحياة رحيل
أجالوا بهاتيك المشانق نظرة	يلوح عليها اليأس حين تجول
وبالناس إذ حفوا بهم يخفرونهم	وقوفا وفى أيدي الوقوف نصول
يرومون أن يلقوا عدولا فينطقوا	وهيات ما فى الحاضرين عدول
دنوا فرقوها واحدا بعد واحد	وقالوا وجزا ليس فيه فضول
فمن سابق كيلا يقال محاذر	ومستعجل كيلا يقال كسول
ولله ما كانوا يحسون من أذى	إذ الأرض تنأى تحتهم وتزول
وإذ قربوا منها وإذ صعدوا بها	وإذ مس هاتيك الرقاب حبول
وما هى الا رجفة تعترى الفتى	مفاجأة والرأس منه يميل
مشوا فى سبيل الحق يحدوهم الردى	وللحق بين الصالحين سبيل
ستبكي على تلك الوجوه منازل	وتبكي ربوع للعلى و طول
وأعظم بخطب فيه للمجد شقوة	وفي جسد العلياء منه تحول

### قبور القتلى

سرت روحهم تطوى السماء لربها  
 والله عيدان من الليل أثمرت  
 وبالك من رزء حمدت له البكا  
 قبور كأن القوم إذ رقدوا بها  
 هوت أمهم ماذا بهم يوم صلبوا  
 سوى أنهم قد طالبوا لبلادهم  
 ونادوا باصلاح يكون إلى العلى  
 فما رد عنهم بالشفاعة عصبة  
 ولا نفع السيف الصقيل حديده  
 لعمر ك ليس الأمر ذنبا أصابه  
 وما غير ضوء الفرقدين دليل  
 رجالا عليهم هيبه وقبول  
 وقبحت فيه الصبر وهو جميل  
 عباديد سفر بالتلاع نزول  
 على غير ذنب كى يقال ذحول  
 بأمر إليهم نخره سيؤول  
 وللنجح والعمران فيه وصول  
 ولا ذب عنهم بالسلاح قبيل  
 مضاء ولا الرمح الطويل عسول  
 قصاص ولكن يعرب ومغول

\* \* \*

أنا خوا المطايا حين أدرك ليلها  
 واني على ماني من الحر والصدى  
 وأفكر في الماضى فيأتى خياله  
 بمأسدة فيها الحماة قليل  
 لأنظر ماء ما إليه سبيل  
 جميلا أمام العين ثم يزول

### البكاء على القتلى

وإن بكأتى اليوم لو نفع البكا  
 أبعد بنى قومي أنهنه عبرتى  
 عليهم وفي مستقبلى سيطول  
 وأمنعها ، انى إذا البخييل

\* \* \*

أقبرة الحقل أغنى الوقت واصفرى  
 يبرحنى أن الصروح تقوضت  
 فما بعد أيام تمر حقول  
 ويجزنى أن القصور طول

\* \* \*

فليت الذين استحسبوا الأمر فكروا

فكان عن الرأي السخيف عدول

\* \* \*

قد اسود ليل الظلم حتى كأنه  
ويا لك من ليل يروع كأنما  
وقد قرّ حتى قلت قد جمد الدجى  
وعسعس يرتاع الكرى من ظلامه  
استار على الأرض الفضاء سديلا  
بكل مكان منه يرقب غول  
وخلت بياض الصبح ليس يسيل  
وطال وليل الخائفين يطول  
فتفعد أعلال به وكبول

\* \* \*

مضى ماضى لاعاد واليوم فاستمع  
ستكتب فيه بالدماء حوادث  
ويذهب هذا الجيل نضو شقائه  
إلى لهجة التاريخ كيف يقول  
وتقرأ للولايات فيه فصول  
ويأتى سعيداً بالسلامة جيل

### لا تلوميني (١)

إليك يا نفس عنى لا تلوميني  
يا نفس لومك هذا مكثر شجني  
يانفس انى على ما قد تعاورنى  
نشرت للقوم آراء أريد بها  
فإن أصبت فهذا نافع حسن  
ما إن أردت بها إلا إقالتهم  
ردوا بسبى ما يعزى إلى قلبى  
إن الملام على ما جئت يؤذيني  
أليس ما بي من الأثجان يكفيني  
من المصائب مفجوع فسليني  
إصلاح دنياهم لا الطعن في الدين  
أو كنت أخطأت فيها فليردوني  
فهل يليق بقومى أن يهينوني  
كأنما السبب من بعض البراهين

\* \* \*

أستم يا بني بغداد فاذكروا أبناء قوم خلوا شم العرائن  
أبناء قوم بنوا للعلم أندية كأنهن مقاصير الخواقين  
وأكرموا العلماء المصلحين لما أبدوه بالصدق من رأى وتلقين  
ما بالكم قد سلكتم غير منهجهم مبدلين قساوات من اللين  
المال للعلم مدن فاشتروه به ليس الذي يشتري علماً بمغبون  
خذوه مهما تنامى عن مواطنكم من كل مملكة حتى من الصين

\* \* \*

كأنهم من شعاع الشمس قد جبلوا وأكثر الناس مجبولون من طين  
ماتوا وفي الأرض ذات العرض قد دفنوا  
إلا اسمهم فهو فيها غير مدفون  
راجحت أعلامهم في كل ما وضعوا من العلوم فما خفت موازيني

\* \* \*

ألم أكن قبلها الدستور ينشلكم أذب عن حقكم حيف السلاطين  
ألم أحارب لكم عبد الحميد وقد عتسا فألبسكم ثوباً من الهون  
له من الإنس شيطان يضللكم وكان شيطانه شر الشياطين  
ألم أحام بشعري عن حقائقكم فصانه أهل مصر في الدواوين  
نعم بنيت بشعري في البلاد لكم مجدأ يدوم جزاء غير ممنون

\* \* \*

ان الأكف التي قد كنت آملها للذود صارت مع الأيام ترميني  
أمست رماح بني عمي وقد غضبوا تنوش جسمي وكانت شرعاً دوني  
بقيت والحق مهجورين في نكد أبيت في الدار ، أبكيه ويبكييني  
للجهل حق ، رعاة الجهل تضمنه له وللعلم حق غير مضمون

\* \* \*

بالله يا أرض أوطاني أبلغي جسدي ويا سماء بلادى لا تظليني



أرجو من الشمس أن تزوى أشعتها      عنى فأنى أراها اليوم تؤذيني  
ومن نسيم الصبا أن لا يصفحني      ومن أريج الحمى أن لا يحيني  
كأن دجلة إذ بارحت ضفتها      ضاقت على رحبها فى عين محزون  
يضيق صدرى فامشى فى الفضاء خطى

أروح النفس من حين إلى حين  
قد كان بالشعر لى فى الهم تسلية      واليوم أصبح شعرى لا يسلينى

### المكاتب (١)

أنشدها فى حفلة أقيمت فى سينما رويال من قبل السيدة فورس  
لتأسيس مكتبة عامة .

تجلو المكاتب كالكواكب      ما للجباله من غياهب  
كل الهداية والسنى      عند الكوأكب والمكاتب  
تفشو الأشعة منهما      ملء المشارق والمغارب  
أن المكاتب عند قوم مرتقى لمن المآرب  
هن المتاهل للرجال على اختلاف فى المشارب  
وهل البلاد إذا خلت      منهن إلا كالخرائب  
ما كان توجهه الحضارة فهو من أسنى المواجه  
ياقوم إعداد المكاتب      فوق إعداد الكتائب  
هدى مغذية النفوس وتلك مجلبة المعاطب

\* \* \*

إن الكتاب هو المعلم والمسلى والمصاحب  
أوراقه فى عين عشاق الهدى بيض كواعب

لا ترتق بغداد إلا ان تكاثرت المكاتب  
وإذا خلت منها فان خلوها إحدى المصائب  
أكبر بحاجتها إلى إنشاء مكتبة تناسب

\*\*\*

العلم نور بين أيدي المرء في كل المطالب  
والجهل أشبه بالظلام يحفه من كل جانب  
العلم للحسنات يمطر مثل هاطلة السحاب  
العلم يعنى المرء في الأعمال من ثقل المتاعب  
في العلم تخفيف لما يعرفو الحياة من النوائب  
في العلم توسيع لأبواب التجارة والمكاسب  
في العلم إصلاح المفاسد والعقائد والمذاهب  
ليس الحياة سوى وغي والناس مغلوب وغالب  
والعلم في هذا الجهاد هو السلاح لمن يحارب  
بالعلم طار المرء حتى مر من بين السحاب  
بالعلم قد تم اتصال للمشارك بالمضارب  
بالعلم صار يكلم الإنسان آخر وهو عازب  
بالعلم أضحى الناس يطوون البحار مع السبابسب  
العلم في الدنيا أب زك وأم للعجائب  
أنا لا أوفى ذكر ما للعلم من غرر المناقب

\*\*\*

الناس عندهم الشמוש وعندنا نور الحياحب  
هاتوا لنا الأعمال إن القول يخلب أو يوارب  
حتم تغتر العروبة بالأمانى الكواذب  
ان أبطأت شمس الرقى فان فجر الشعب كاذب

يا قوم مرتبة العلوم تفوق باقية المراتب  
يا قوم إن العلم بالإجماع محمود العواقب  
يا قوم إن العلم يحصل بالتعلم والتجارب  
يا قوم إن الجهل في ذا العصر من إحدى المعائب  
يا قوم إن العلم ثم العلم ثم العلم واجب

### حول العلم (١)

العلم ثروة أمة ويسار  
العلم قد دك الجبال فهدها  
بالعلم أطلعت البلاد كواكبا  
بالعلم قد ناجى مقيم نازحاً  
بالعلم أدنى الناس شقة أرضهم  
بالعلم قد طالت فأدركت المنى  
خدم البلاد السكرباء وقبله  
العلم ينمو في المدارس دوحه  
يا علم يا كل الهداية للورى  
يا علم أنت مخفف أوزارنا  
ما كان يفلح في جهاد حياته  
سيموت رب العلم من مرض به  
شتان بين الدار تبسط ظلمة

والجهل حرمان لها وبوار  
وأضاء جنح الليل فهو نهار  
بالعلم صارت تنطق الأحجار  
وعلى الأثير تمشت الأخبار  
بالعلم غاصوا في البحار وطاروا  
أيد عن الغرض الرفيع قصار  
خدم المعامل في البلاد بخار  
حيناً وتقطف بعد ذلك ثمار  
صلى عليك الله والأبرار  
لولاك أنقض ظهنا الأوزار  
شعب على كسل له استمرار  
وتعيش دهرها بعده الآثار  
والدار فيها تسطع الأنوار

\* \* \*

بالعلم قد لبس العراق حضارة  
يا علم قل لى مخبرا أين اختفت

ما إن تردت مثلها الأمصار  
تلك النجوم الزهر والأقمار

يا علم قد كانت ربوعك جنة غناء تجرى تحتها الأنهار  
 من بعد ما كانت ربوعك جنة يا علم عمّ ربوعك الاقفسار  
 يا علم غيّرك الزمان بصرفه لا أنت أنت ولا الديار ديار  
 إن التوقف في زمان حازم فيه تقدمت الشعوب لعار  
 لا نبح إلا والمشقة أمه كالنور يظهر حيث تذكو النار  
 نور يشق حسامه بغراره سيجف الظلام وهكذا الأسحار  
 وأهم عضو في الرجال لسانه وأهم جزء في السيوف غرار  
 الحرب بعد اليوم حرب سياسة والغالبون بهائم الأحرار  
 العدل فيها للحارب جنة والعلم فيها المرهف البتار  
 من كان يمشى في طريق مستو أمن العثار فما هناك عثار

\* \* \*

لا توقظني إن هجعت من الكرى حتى يغرد في الصباح هزار  
 حاولت أن ألقى الحقيقة جهرة فاذا الحقيقة دونها أستار  
 لو كان للإنسان رأى صائب لأنت مؤيدة له الأقدار  
 يا قوم قد وعر الطريق أمامكم فاذا عزمتم تسهل الأوعار  
 لا يرفع الوطن العزيز سوى أمرىء حر على الوطن العزيز يغار  
 إن هدمّ العربي حوض جدوده سخطت عليه يعرب ونزار

### ما أغنى (١)

من قصيدة قالها في دمشق، وأنشدها في بهو المجمع العلي

ظننت بأن الشعر يغنى فما أغنى وكم شاعر في موقفي أخطأ الظننا  
 لقد كان شعري يحسن اللحن إن شدا فما بال شعري اليوم لا يحسن اللحننا

وكنت لاسفار الحياة اتخذته  
 وكان يبت الشجو في الناس شدوه  
 يعنى فيبكي السامعين غناؤه  
 وأحسن من غنى من الطير بلبل  
 على فنن لدن نزا وهو صائح  
 وأكثر إحسانا من الطير شاعر  
 وما اليوم عجز الشعر عن خور به  
 كأنى اليه لم أمت بقربة  
 من الشعر ما يلقي الردى قبل ربه  
 وأما الذى قد كان معناه فائضاً  
 وللشعر جسم ناعم هو لفظه  
 أرى الشعر بعد الوحي أكرمها بطا  
 ولا خير فى شعر وان راق لفظه  
 وقد يتفشى الشعر كالنور سائحا  
 وقد تسمع الأذنان جمعجة له  
 يريدون منى أن أغنى باسمهم

رفيقا أضافيه المودة أوخذنا  
 إلى أن يهيج السمع والروح والذهنا  
 كذلك يشجى العندليب إذا غنى  
 تبوأ فى غناء من حنة غصنا  
 فهز وأحنى تجته الفنن اللدنا  
 إذا قال راعى فى صناعته الفنا  
 ولكنها الأشجان لا تقبل الوزنا  
 ولم أك للطبوع منه أباً وإبنا  
 إذا قصر المعنى المراد فما أغنى  
 فيفنى الذى قد قاله وهو لا يفنى  
 وللشعر روح ذو شعور هو المعنى  
 من الملاء الأعلى إلى الملاء الأدنى  
 إذا كان عنه فى الهداية يستغنى  
 فيركب متن الصبح إن لم يجد متنا  
 ولا تشهد العينان عوض له طحنا  
 وأى هضم باسم أعدائه غنى

### الظلم يقتلنا والعدل يحيينا<sup>١</sup>

قالها قبل الدستور العثمانى :

خفف من الظلم إبقاء وتهوينا  
 يامالك الأمران الناس قد ضجروا  
 لهوت عننا بما أوتيت من دعة  
 ليست طريقك محمودا مغبتها

فالظلم يقتلنا والعدل يحيينا  
 عامل برفق رعاياك المساكيننا  
 فايض ليملك واسودت ليالينا  
 فابداه إن شئت فى الأحوال تحسيننا

لقد ملكت فأصبح اننا فئة  
 ما أن تهضم سلطان رعيته  
 كانوا على الناس آباء أولى شفق  
 وكانت الناس في أيام دولتهم  
 لا شيء غير جمال العدل يرضينا  
 فالملك قبلك قد ربي سلاطينا  
 وفي الأرائك أملاكا خواقينا  
 لا يبخسون على الناس الموازيننا

\* \* \*

قسست قلوب ولاة أنت مرسلهم  
 تراهم أغبياء عند مصالحة  
 ان الرعية أغنام يحد لها  
 كأنما الله لم يخلق بها لينا  
 وفي المفاسد تلقاهم شياطينا  
 عمالك المستبدون السكاكيننا

\* \* \*

ياشمس لا تشرقي بالنور أوجهنا  
 وأنت يا ريح إن راعيت جانبا  
 ماذا على من يشم العدل مكثفيا  
 يا عدل ان التفاتنا منك يسعدنا  
 يا عدل من كان محبوبا محاسنه  
 يا من لياليهم باللهو قد قصرت  
 فذاك يملأ غيظا قلب والينا  
 فلا تهبي على جهر بوادينا  
 بنفحة منه ان عاف الرياحينا  
 يا عدل إن ابتساما منك يكفيننا  
 ما هكذا يصرم القوم المحبيننا  
 تذكروا اننا طالت ليالينا

\* \* \*

قد سافر الجهل إلا عن منازلنا  
 ما جاءنا الشر إلا من تهاوننا  
 لا بد من فك ما قد شد من عقده  
 أما الذين استحبوا قتل أنفسهم  
 وأثر العلم إلا في نواحيننا  
 ما عمنا الظلم إلا من تغاضينا  
 كيف الأسار بأيدينا بأيدينا  
 فرأ من الضيم ما كانوا مجانديننا

\* \* \*

## ما كنت أرتحل (١)

ألتماها في الحملة التي أقيمت في دار الوجيه الأديب جميل بك بيهم، تسكريما  
لـ وقد حضرها جمهور من عليّة بيروت وأدبائها وصحفيها بعد أن أقيمت عدة  
قصائد وخطب في الترحيب به .

لولا تفاقم شر ليس يحتمل	ما كنت عن وطني بغداد أرتحل
اليأس بالأمس من بغداد أخرجني	واليوم جاء إلى بيروت بي الأمل
عجّلت في السير عن بغداد خشية أن	تسد من ريبة في وجهي السبيل
وكنت أرضى لقاء الموت منتحرا	لو كان لي من حياتي هذه بدل
اعوج من حقدهم ناس على بها	وهكذا الناس معوج ومعتدل
فما رأني جدلانا بها أحد	وهل لمثلي في أوطانه جدل
يممت بيروت أستشفى بطيبته	وقلت علّ جروحي فيه تندمل
بيروت عز بلاد الضاد قاطبة	بنهضة القوم فيه يضرب المثل
هناك شعب بصير بالحياة فما	تراه يوما بغير العلم يحتفل

\* \* \*

لا ترفع المرء أقوال يفوه بها	بل يرفع المرء سعي المرء والعمل
وقد يصيب جليلا حادث جليل	فلا يغل يديه الحادث الجليل
ولللنساء لدى أهليه منزلة	كما يليق بشعب هبّ يعتدل
إن الرجال لهم نقص بمفردهم	وانما بالنساء النقص يكتمل
هل يستطيع كما قد ينبغي عملا	جسم أصاب لداء نصفه الشلل
إننا نريد حياة لا يضرّ بها	تعصب ولأم الناقد الهبل
ما ضرنا الجهل لا نصفي لقالته	فكل أرض على الجهال تشتمل
لكن شعباً يكون القائدون له	من الألى عرفوا بالشر ينخذل

<p>فانه وحده في قومه البطل ومن علامات ضعف القائل الوجل فليس ينفع في تمحيصه الجدل فقد ينوء بظهر الحامل الثقل حتى إذا مات في أصحابه الأمل</p>	<p>من استطاع دفاعاً عن حقيقته إن القوى جسور في تكلمه والرأى إن كان عن حب بصاحبه إذا التكاليف لم تقسم بمعدلة ما زال يرجو شفاء كل ذى مرض</p>
---	--

\* \* \*

<p>وكم تأخر قوم عندهم كسل كل امرئ فله عن غيره شغل به تساوى سداد الرأى والخطل كما تشابهت العضات والقبل وأن يكون لهم بالعلم مشتغل فانما الوقت مطلوب له العجل نصحى الذى كنت أبعده ولا قبلوا لهم وفى الوقت لم يسمعوا فلم يصلوا إلى التقدم لا يشيهم الملل والرأى يفعل ما لا يفعل الأسل فكان فيها نصيب الجاهل الفشل والعلم حيلة من أعيتهم الخيل</p>	<p>تأخر القوم في بغداد من كسل الناس بالقصف في بغداد لاهية وأى قصد يرجى المرء في بلد تشابهت فيه مرضاة وموجدة نصحتهم أن يشوبوا من جهالتهم نصحتهم أن يكونوا عاجلين له لكنما القوم كل القوم ما سمعوا راموا وصولاً إلى ما فيه منفعة إلا شباباً من الأحرار نزعهم بالعلم تتحد الآراء صائبة كم قد تصدت إلى الأعمال من فئة العلم عدة ناس ما لهم عدد</p>
---	--

\* \* \*

<p>إلى العلوم فلا علّ ولا نهل بلّ الأوام فما إن فاتك الوشل عليه بالمال في حاجاته بخلوا حتى يوجد عليه العارض الهطل</p>	<p>أقول للشعب أنت اليوم ذوظماً إن فاتك الغمر من ماء ترديد به هل يزهر العلم في أرض أمثالها لا ينبت الروض أزهاراً ولا عشبا</p>
---	--

\* \* \*



ورب غرّ أتاه ما نطقت به  
فضاظه الأمر حتى جاءنى حنقا  
أنحى يسب ولم يستحى من أدبى  
ذبا عن امرأة قد ضامها رجل  
كأنه وهو يعدو مزبدا جمل  
ولا من الشيب فى فودى يشتعل

\* \* \*

قد كفرونى لأنى فى مجالسهم  
وجادلونى عن جهل وعن سفه  
الحق يندبنى فيها فانصره  
وليس يعظم بعد الله فى نظرى  
فكل شىء من الأشياء منه أتى  
وانه هادم فيه ومنهدم  
لكل شىء نظام فى تسكونه  
هو القوى وهو أجسام قد اتصلت  
وانه هو نفس الشمس طالعة  
وانه هو معلولات قدرته  
ما الكون إلاّ فضاء لا حدود له  
إذا تصور ما للسكون من سعة  
فيه الوجود ترقى من تنازعه  
تدور فيه نجوم لا انحصار لها  
على الحقيقة إما قلت أنسكل  
فما أضر برأى منهم الجدل  
والعقل يأمرنى فيها فأمثل  
الا الأثير الذى بالسكون يتصل  
وكل شىء إليه سوف ينتقل  
وانه فاعل فيه ومنفعل  
وإنما يحترقه بعده الخلل  
بغيرها وهو الأجسام تنفصل  
وانه بكر الأيام والأصل  
قديمة ولمعلولاته العلل  
والزهر إلاّ شمس فيه تشتعل  
عقل الحكيم بحق فهو يندهل  
والأرض، الشمس، الانسان، الدول  
وكل شمس لها فى دورها أجل

تعلق روحه على ما هو لائق  
فى شأنه كماله لا فى كماله  
فى ذوقه ما فى ذوقه من باله  
فى حيزه ليقدره ليقدره  
فى سعة ما فى سعة ما فى سعة  
فى حيزه ليقدره ليقدره  
فى حيزه ليقدره ليقدره  
فى حيزه ليقدره ليقدره

### الدمع ينطق (١)

وهي التي نشرت يومئذ في ( السياسة ) المصرية فقامت حولها ضجة :

تفجر يبكي في صموت ويشهق	وقد كان منه الدمع بالحزن ينطق
وضم انكسار آبعث الشجو لا عجا	إلى عبرة في عينه تترقرق
إذا سألوه عن شكيتيه بكى	ورب بكاء صامت هو مننطق
بكي وبكى ما أن يكفكف دمعته	بأيديه حتى كاد بالدمع يشرق
وكان الفتى فيما أتاني عاشقاً	وقد هلكت تلك التي هو يعشق
تألق نجم في سماء رجائه	وغاب أخيراً ذلك المتألق
سبقي جديداً ليله ونهاره	وكل جديد غير ذينك يخلق

\* \* \*  
وليس يبالي ميت في حفيره \* \* \*  
بأن ضريحاً فيه قد نام ضيق

\* \* \*  
وسائلة هل بعد أن يبعث البلى \* \* \*  
فقلت مجيباً انى لست واثقاً  
وهيهات لا ترجى الحياة لميت  
تقولين يقنى الجسم والروح خالد  
وإنى على على سعادة ميتى  
بلغت عتيا من سنين صحبتها

\* \* \*  
تقدمنا ناس كشار إلى الردى \* \* \*  
سرق تحت الأرض والزهر بعدنا  
وكم لى من رأى إذا ما بسطته  
إذا جئت كذبا فالضمير يلومنى  
وإنى رأيت الصدق أحسن خلة  
خض اللج من بحر الطبيعة سايرا

## (١) الواصفة

أني أمرؤ لا أجهر إلا بما أنا أشعر  
 لا أطمئن لغير ما أنا سامع أو مبصر  
 وأشك في نساء به يفضي إلى المخبر  
 بل لا أصدق منه شيئاً قبلها أتبصر  
 أما الخرافة فهي ما عنه أفر وأنفر

\* \* \*

لا أقتفي أثر الغوا في غير أني أنظر  
 عاشرتني فرأيت كيف يعف مني المئزر  
 لا أكبر الأشياء ليسست في العواقب تشر  
 العقل من إكباره تلك السخائف أكبر  
 قد آلموني بالهراء من الكلام وأكثروا  
 وتعصبوا حتى رموني بالمروق وكفروا  
 إن نابني شر فإنني منه لا أتذمر  
 أو جاني خير فلا أغتر منه وأبطر  
 أرد النمير وبعدهما أروي غليلي أصدر

\* \* \*

أنكرت ما حمد الوري وحمدت ما قد أنكروا  
 ولقد قنعت من الطعام بيلغة تتيسر  
 لا كالذين على طعام واحد لم يصبروا  
 أو كالذين إذا تغيرت الظروف تغيروا

أو كالذين إذا تجمهرت الرعاع تجمهروا  
 أو كالذين تذللوا أو كالذين تكبروا  
 أو كالمنافق جاء يظهر غير ما هو يضمـر

\* \* \*

والشعر لست أقوله إلا كما أنا أشعر  
 ما ان أقلد من مضت قبلى عليه الأعر  
 والشعر قائله بتقليد الطبيعة أجدر  
 إن الطبيعة مورد للظامين ومصدر  
 يجد المواضع الكبيرة عندها المتفكر  
 والشعر ليس سوى الذى هو للشعور يصور  
 والشعر بالمعنى المطابق للحقيقة يكبر  
 ولقد يثير عواطفنا من سامعيه ويسحر  
 والشعر مرآة بها صور الطبيعة تظهر  
 ليس القريض بطوله بل قد يفوق الأقصر  
 ولقد يطيل قصيدة فيجيد أشعث أغبر  
 وإذا البراعة ووزنت يتقدم المتأخر

\* \* \*

ما للأديب بعصره فى الشرق قدر يذكر  
 أما الشقاء فحظه منه الأتم الأوفر  
 ولقد يصادف عزه من بعد ما هو يقبر  
 من بعد ما فى قبره أوصاله تتبعـثر  
 ماذا من التكريـم يرجو ميت لا يشعر

\* \* \*

## الشعب (١)

ما أن ينال الشعب مجدا حتى يلاق منه جهدا  
 قد خابت الآمال في شعب من الجهل استمدا  
 لا يهتدى السارى إلى العلياء ما لم يلق وقدا  
 ما لم يكف عن القديم وسخفه ما لم يجدا  
 ما لم يغير ثوبه ما لم يمزق ما تردى  
 ما لم يكن عند الشدائد ان زحفن إليه جلدا

\* \* \*

لا يبتنى استقلاله شعب له لم يستعدا  
 شعب إذا لم تستبد به حكومته استبدا  
 شعب يلم بشره وإذا ألم فلا مردا  
 شعب يظن الجد هـ زلا كله والهزل جدا  
 شعب يعرض للطام بكل يوم منه خدا  
 شعب إلى بث الخلاف له مراح ثم مغدى  
 شعب تعصب للحجاب مشددا حتى تعدى  
 شعب بنى بين النساء وبينه للجهل سدا  
 قد شل منه النصف حتى كاد منه الكل يردى

\* \* \*

يأتى الزواج بأربع ويخال ما يأتيه رشدا  
 ويرى هناك طلاق سلمي واجبا ليحوز سعدي  
 إنى لأعجب كيف يلقى العيش ذو الأزواج رغدا

بل كيف يجمع واحد في منزل ضدا وضدا

\* \* \*

القوم يا ابنة يعرب من قسوة وأدوك وأدا

\* \* \*

### الشيخ في عين الفتاة (١)

ما الشيخ في عين الفتاة مهما أطاب سوى قذاة  
الشيخ يحتمر الطبيه — همة إن تزوج بالفتاة  
هو في تزوجه بها يلقي السلامة في الأداة  
لم تليق عيني مشهدا كالموت في جنب الحياة  
ما أتعس الحسناء في أحضان معوج القناة  
وإذا القلوب تقرحت بطلت معالجة الأساة

\* \* \*

قد غاظني شيخ تزوج كاعبا مثل المهابة  
شرس — على كبر أهانته السنون به — وعاقى  
هي كالحمامة في الوداعة وهو فظ كالبراة  
احتازها بالمال قد أعمى أباهما والهبات  
وجه تفيض به الصباحة مثل زنبقة الغداة  
وحواجب زج تطسل على عيون ناعسات  
وفم جميل فوقه أنف يزين الوجه ناتي  
والجيد أتلع مثلها شاهدت في ظبي الغلاة  
يحلو لعينك ما لها عند السنوح من التفات

أما القوام فإنه لدن كهالية القناة  
 ويزينها فرع إلى حلك الليالي ذومتمات

\* \* \*

فبنى عليها قاضيها من جسمها وطر البناة  
 حتى إذا ما ملها ابدى لها جنف الطخاة  
 حنق على هذا الزواج الدهر من ماض وآتى  
 ما زال يرمقها كذئب وهي راجفة كشاة  
 يقسو عليها كل يوم في العشى وفي الغداة  
 يمضى على استخدامها بالدار في شر الهنات  
 فكأنها لشقاءها ليست هناك سوى أداة  
 شتم ولطم ثم ركل ثم مختلف الأداة  
 قد هاجني ما كنت أسمعه هنالك من شكاة

\* \* \*

ووجدتها يوما بشاطيء دجلة تمضى وتأتى  
 وكأنها عزمت على أمر يروع بلا أناة  
 وكأنها قد صممت أن تستريح من الحياة  
 وكأنها كانت تقول بأعين مغرورقات  
 سحقوق ياليلي فأنت اليوم لست سوى فتات  
 بعلى الغشمشم آخرا وأنى وأمى فى البداة  
 ماذا تفيد شكائتي والظالمون هم قضائي  
 مالى صديق فوق وجه الأرض أسمعه شكائتي  
 الدهر والإنسان والأقذار كلهم عداقي  
 قالوا يواتيك الزمان فإنه جم الهيات

أما الزمان فإنه جاف لمثل لا يواني

\*\*\*

قد غبت يا طيف السعادة عن عيوني المخضلات  
إني رأيتك يوم كنت أسير صاحبة لداتي  
كالأقحوانة لم تمد لقطفها أيدي الجناة  
في يقظتي إذ كنت أنظر في السماء وفي سباتي  
إذ كنت أعدو غرة خلف الفراش مع البنات  
إذ كنت أمشي للغدير ومنه أرجع كالقطاة  
إذ كنت أبسم للآلى كانوا إلى من الرناة  
فعشقت منه الزهرة الحسناء عابقة الشذاة  
كانت هنالك فرصة لأحوزها قبل القوات  
لم أتهدأ من شقا لي وكنت على بتات

\*\*\*

يا موت خذني عاجلا يا موت فيك أرى نجاتي  
من بعد ما عانيت ما عانيته ماذا أناقي  
صليت للديان ضارعة فما نفعت صلاتي  
يكفيك ما قاسيته يا نفس من أيدي القساة  
ياموت عجل بي إليك فقد سئمت من الحياة  
يا موت اني فيك أرغب فأنتي إن كنت تأتي  
إني بلا حام فكن لي اليوم أنت من الحماة  
أكبر بداء بي يكون الموت فيه من الاساة

\*\*\*

يا دجلة الحمراء أطلب منك عارفة فهاقي



يا دجل آوينى فعندك ملجأ للمحصنات  
 أنا من نكايات الرجال إليك أحدى اللاجئات  
 ولقد قصدتك بعد أن أخفقت فى كل الجهات  
 فوجدت أبواب السلامة غير بابك موصلات  
 إنى سأودع جوفك الخفى عن عيني رفاتى  
 إنى سأدفن فيك بعد هنيهة ذاتى بذاتى  
 فتكون حينئذ قد انقطعت من الدنيا صلاتى

\* \* \*

إن المنايا قد بدت لى فى مياهاك كاشرات  
 يا نفس مالك ترجفين كذا ، امالك من ثبات  
 ورأيتها ترى بدجلة نفسها مثل الحصاة  
 وطلبت فرصة نسلها فوصلت من بعد الفوات  
 غابت نخلت الشمس قد غربت براءة الضداة  
 وفشا النعى فلم أجد غير البواكى والبكاة

\* \* \*

قد كنت أعرف جيدا هذى النهاية فى البداية  
 انى رأيت المسـلمين يخاشنون المسلمات  
 وأرى النساء من الرجال يعشن غير مكرمات  
 وأرى الاماء سوافرا والسيدات محجيات  
 وهنالك الأبناء قد مردوا فعقوا الأمهات  
 وعدت على أزواجها أبناء دجلة والفرات  
 يحمى الجهول البنت عارا ما لها حق الحياة  
 أما اللبيب فلا يرى فضل البنين على البنات  
 يا شرق أنت اليوم فى نظرى كما بالأمس عانى

(١) القارعة

أهب بالشيب وأدكر الشبابا فهذا لا يطيب وذاك طابا  
وما كان الشباب هناك إلا كنجم قسدت تألق ثم غابا  
إذا قلبي تذكره بصدري تنزى خافقا فيه ولا بابا  
مضى صبحي وأخرني زمانى كأن له على شخصى حسابا  
أرى الأيام مذولى شباني على تمر حانقة غضابا  
كأنى حين أذكر ما مضى من شباني ناظر منه شهابا  
كتبت الوكة أدعو المنايا وأنى اليوم أنتظر الجوابا

\* \* \*

وكنت هبطت قبل سنين مصرا فلم أهدأ وفضلت الايابا  
ذكرت مواطنى وذكرت أهلى وليلى والصباية والشبابا  
وقلت لقد نأت بغداد عنى فليت الدهر يمنحنى اقترابا  
ولو أنى رجعت إلى بلادى لقبلت المنازل والترابا  
شربت من النوى لشقاء نفسى شرابا ثم لم أسخ الشرابا  
ومن يشرب على ظمأ حميا فليس بناقع منه اللهابا

\* \* \*

فراق لا أعاتب فيه ليلى فليلى ليس تحتمل العتابا  
وقلت ساحل الأعباء وحدى ولا أشكو شقائى والعذابا  
وكانت لا تزال هناك ليلى فتاة مثلها كانت كعابا  
وأنت مصدق لو أن ليلى أماطت عن حياها النقابا  
لقد سألت فألمها سؤالى وإن لكل سائلة جوابا

أطالب بالحقوق وكل حر      قمين أن يطيل بها الطلابا  
وهل تخشى يد كتبت بصدق      دفاعا عن كرامتها تبابا

\*\*\*

ويمت المواطن نايات      احثث من مسارعتي الركابا  
ولم يك مركبي لإقطارا      جرى للأرض يتهب انتهابا  
رأيت النار وهي لها ازيز      بمرجله تشق به اليبابا  
سرى والليل معتكر بهيم      يجر وراءه غرفا رحابا  
وأسرع لامسا صدر الفيافي      يجوب السهل منها والهضابا  
يشق بصدره البيداء شقا      كما صدعت بك الفلك العبابا  
فأوصلني القطار إلى دمشق      بيوم واحد للنفس طابا  
وسرنا نبتغي بغداد منها      على سيارة مرقت ذهابا  
فجئناها كذلك بعد يوم      سوى لم نلاق به الصعابا  
فسكنت كطائر التي بعش      بناه حية فمضى وثابا  
بهاجرة لديها كان يجري      لعاب الشمس أن لها لعابا  
فودت أنها قبل انفلات      له لو أمسكت منه الذنابي

\*\*\*

ولما عدت بعد نوى شطون      إليها راعني وطني ورابا  
رأيت معاهد الآداب فيه      من الإهمال دارسة خرابا  
ذهبت إلى الرياض فساءني أن      أرى عوض الهزار بها الغرابا  
واني في خمائلها اعتياضا      عن الغريد أستمع النعبا  
رأيت السعد يخفي منه وجهها      رأيت النحس يبدي منه بابا  
وألفيت الذناب يذم رأسا      وذلك الرأس يمدح الذنابا  
وأعجب مشهد لافيت فيه      خراف بعدى انقلبت ذنابا

وكننت مؤملا في غير هذا من الأحوال أن ألقى انقلابا

\* \* \*

وكم لي في المواطن من عدو  
أقول لهم خذوا في السهل سيروا  
فليس لكم لدى الإدلاج حول  
فراحوا ينشرون الكذب عنى  
ولم يأبه بما قالوه إلا  
رمانى بالسهم فما أصابا  
وخلوا لى الوعورة والهضابا  
على أن تسلكوا الطرق الصعابا  
ومن سفه يكيلون السبابا  
غبي أو سفيه قد تغابى

\* \* \*

رأى الأعداء شيخاً أقصدته  
رأوه عن الركوب اليوم يعيا  
فقالوا انه شيخ كسيح  
فشنوا منهم الغارات تترى  
يريدون الوقعة بي عدا  
ولكن لايزال الشيخ هذا  
سنوه أن يحاسبهم حسابا  
وقد ركب المسومة العربا  
فلا تخشى له ظفرا ونابا  
يعدون التجدد فى عابا  
وأن يقضوا على أدبى اغتصابا  
يقاوى بالنهى الصم الصلابا

\* \* \*

لقد هابتك ياقلبي الأعادى  
وما نظر العدى إلا بعين  
كذلك الحقد يسدل بين ناس  
وأنت فتق جدير أن تهابا  
أبت أن تبصر الحق الصوابا  
وبين الحق مؤتلقاً حجابا

\* \* \*

و حرب قد أثاروها عوانا  
نخاضوها وما اتخذوا سلاحا  
وإلا القول يعوزه دليل  
رموا بسهامهم أدبى وشعرى  
على حزب التجدد إذا أهابا  
لهم إلا الشتيمة والسبابا  
وإلا الزور منهم والكذابا  
إلى أن أفرغوا منها الجعابا

أشادوا بالقريض وهم أناس  
وأبدوا في الجديد لهم ظنونا  
لقد ظنوا سراب القفر ماء  
ولم أحفل بهم حتى تعادوا  
فعدت رفعت الكف مني  
وأربأ أن أجرد من يراعي  
وفي كفي اليراعة ذات حد

\* \* \*

ولى شعر كحد السيف ماض  
هتفت به وكنت له زعيما  
إلى أن ذاع في الأقطار صيتي  
وليس قريضهم في الذوق إلا

\* \* \*

وليس يغيظني أحد كغبر  
تحفز بيتي نقداً لشعري  
إذا ركض اليراع يريد نقدي  
رأيت جهالة ورأيت سخفاً  
تبجح وهو لم يبلغ نصابا  
طقا في عيلى بعد انتفاخ  
وبعد هذبة مرت عليه  
تجرع يا حسود الماء صردا  
ولم تسكت أخيراً عن رشاد

\* \* \*

تقول لذا وذاك أنا بنقدي  
وإن أخطأت في كمي الصوابا

أحاول شهرة في الارض لاسي  
ولا تدري بأن الجهل داء  
وأن أهلك فلا تفرح لهلكي  
وأرجو بعد ذلك لي ثوابا  
فلا يؤتى الفقى إلا عذابا  
سيملاً فاك أنصاري ترابا

\* \* \*

ورب منافق في الوجه أطفى  
وليس صديقك المطرى وجاها  
وقد أقصيته عنى فوافى  
ولكن الذئاب الطلس مهما  
فلما غبت أقرفى وعابا  
ولكن من يصون لك الغيابا  
يعفر خده وبكى ولابا  
أرتك وداعة تبقى ذئابا

\* \* \*

قرضت الشعر بالشعر إفتاناً  
ولو شاهدت في مصر اصطدامى  
جرى وجريت في بحر خضم  
اذن لرأيت في ذهل عبابا  
ولم أطلب به المنن الرغابا  
بمن قد جاء يصدمنى غلابا  
وكان البحر يضطرب اضطرابا  
أتى متدفقاً يلقى عبابا

\* \* \*

### حرية الفكر<sup>(١)</sup>

عظيم على الأفكار في عصرنا الحجر  
وهل فقه الشعب المرید انطلاقه  
وهل نافع تحريره من أساره  
وأى رقى في الحياة ميسر  
يرومون للأفواه كما بعنفهم  
لقد أصدرت مصر الرشيدة حكمها  
أما كل إنسان بأرائه حر  
من الأسر أن الحجر فيه هو الأسر  
إذا لم يكن فى رأسه حرر الفكر  
لقوم بقول الحق ما ان لهم جهر  
وذاك لعمرى ثم ذاك هو النكر  
لظه فنعم الحكم ما أصدرت مصر

فقد برأته بعد أن بان صدقه  
وقد فعلت وهي النزيبه قضاؤها  
إذا ما أضاء العلم أرجاء بقعة  
أمن رام في الحق الصراحة كافر  
لقد شتموه حين باءوا بعجزهم  
وقد طلبوا للدين نفعا بشتمه  
لقد جهلوا عصر النهوض وفعله  
وقد كفّروا من قبله بجهالة  
وقد أبعدوه عن وظيفته ولو

يراقب كل الشرق مصر بسمعه  
فلو خسرت مصر هدى الله سعيها  
إذا سار من يبغى العلافى طريقه  
هو الشرق قول الحق فيه جريمة  
هنا فليفيض ماء العيون جميعها  
إذا الشرق لم ينقع من القطر غلة  
لقد طال ليل الشرق بعد نهاره  
ترامق حر الرأى فى الشرق أعين  
ولا بد من اخذ العروبة حقها  
أرى العلم روضاً مجدباً فى ربيعها  
وما البلبل الغريد للبحى صامت  
إذا سكنت العدل الذى هو عاجز  
وإن امرأ قد مسه الحيف فادحاً

ليعلم ماذا بعد فاعلة مصر  
لكان بكل الشرق يلتحم الخسر  
بعزم تساوى عنده السهل والوعر  
« كذا فليجل الخطب وليفدح الأمر  
» وليس لعين لم يفيض ماؤها عذر  
بأكياده الحرى فلا نزل القطر  
أما بعد ليل الشرق محلول كما فجر  
يدل على أحقادها النظر الشزر  
وان حالت الأقدار أو خذل الدهر  
وقد كان معشاً بافهل أخلف القطر  
ولكنها فى الروض قد نفذ الزهر  
عن الحق فى ارض فما يسكت الشعر  
ولم يتحرك ذائداً هو القبر

### تباشير الانقلاب (١)

أنشدها في الحفلة التي أقيمت للمؤتمر النسائي في نادي  
لوره حضوري

من بعد ما انتظرت حقا با      ثارت فمزقت الحجابا  
عريية عرفت أخيرا      كيف تنبذ ما أرابا  
كان الحجاب يسومها      خسفا ويرهقها عذابا  
وسيطلب التاريخ من      ناس لها ظلوا حسابا  
سألت لها حرية      منهم فما لقيت جوابا  
حتى إذا ما استيأست      خرقت بأيديها النقابا  
فرأت أمام سفورها      للمجد أفنية رحابا  
ذهبت كزوبعة لها      صخب فأحمدت الذهابا

\* \* \*

أحسنت يا ابنة يعرب      صنعا واتبعنا الصوابا  
فلقد كفاك غضاضة      ذاك الشقاء بما أصابا  
ليس الجمود سوى خضوع      قد يجر لك التبابا

\* \* \*

إن الحياة لتبتغي      في عصرنا هذا انقلابا  
ظهرت تباشير له      تبني المني منها قبابا  
خوضي إلى المجد الأثيل - مع الألى خاضوا - الصعابا  
وتنكبي الوهد الذي      يخفيك واطلبي الهضابا  
أما العباب فإنه      إن حال فاقتمحي العبابا  
الحق حقلك فانشديه      في محاولة طلابا



وإذا أبوا نخذه منهم فى مكافئة غلابا  
لا تعبى أبدا بغربان يواصلن النعابا  
وذرى من الدين القشور جميعها وخذى اللبابا  
لا خير فى ناس إذا أحمتمهم ولوا غضابا  
عزوا الحجاب إلى الكتاب فليتهم قرأوا الكتابا  
إن التعصب مانع أن تبصر العين الصوابا

\* \* \*

ما عاش شعب نصفه قد شل من داء أصابا  
ما كان خدرك غير سجن مظلم يولى اكتابا

\* \* \*

إنى لأرجو أن أرى التوقير فى الفتیان دابا  
وألوم من مردوا فلم يبعوا عن السفه اجتنابا  
كم من خراف حين أدجى لیسلمها انقلبت ذئابا  
لما رأت لهما طريا أبرزت ظفرا ونابا

\* \* \*

ولرب فائنة العيون لحاظها تحكى الخرابا  
وترى خصائل شعرها فتخالها تبرا مذابا  
زفت إلى وحش فسالت فى حيازته اكتابا  
وأجاعها شحا ولم يحسب لجوعتها حسابا  
هل ظن أن المرهق الغرثان يلبسهم الترابا  
ولقد غلى منها الأسى فتفجرت تبكى المصابا  
إن الأسى إما غلى ليفجر الصم الصلابا

\* \* \*

وتعاتب الأقدار لو يسمعن من أحد عتابا  
ذم الجهالة أنها ما أورثت إلا خرابا

يا ماء أهلى أين أنت فإننى أشكو اللهايا

\* \* \*

يا قبر « ليلي » أنت تحوى فيك زنبقة كعابا  
 حيثك واكفة الحيا تهى فتنسكب انسكابا  
 كم مثلها من نسوة يرجون فى الصبر الثوابا  
 يلوين من جور الرجال وقد تبرمن الرقابا  
 ما لى رجاء فى الشيوخ وإنما أرجو الشبابا  
 من كل وثاب إذا أغريته اقتحم الصعابا

\* \* \*

الناس فى الآراء يختلفون بعداً واقتراباً  
 بسم المنى لأقلهم خطأ وأكثرهم صوابا

\* \* \*

إنى أرحب بالالى بلد الرشيد بهن طابا  
 أوليننا النعم الرغاب وما توخين الثوابا  
 بل خدمة الوطن العزيز بهن عن بعد أهابا  
 نعم سأشكرها ومن لا يشكر النعم الرغابا  
 وكذلك تشكر كل أرض عضها الجذب السحابا

\* \* \*

يا « نور » هذا الحفل قد بلغت بطولتك النصابا  
 لا تحسبى للمرجفين ومن روى عنهم حسابا

يا عيد (١)

قد عدت بعد ذهاب منك يا عيد  
أأنت عيد به الأفراح شاملة  
عيد أجل أنت عيد لاسلام به  
عيد به عنك هذا الناس فى شغل  
عيد ألم على يأس بمسكة  
حيث الدخيل سعيد من تزلفه  
عيد تمج جراح الحق فيه دما  
عيد يكابد فيه المسلمون أسى  
يبغون ركننا لهم يستعصمون به  
يؤملون زعيما فيه تسرية  
يشكو تباريحه الإسلام مضطهدا  
الحق يوطأ بالأقدام منسحقا  
باب المنية مفتوح لمضطهد  
الغيد تبكى شجائها فى المصاب وما  
ما إن لها من عقود غير أدمعها

\* \* \*

نالت مطالبها الأقوام قاطبة  
فى كل يوم تصيب القوم كارثة  
لا قلب إلا وفيه الحزن مرتكم  
لا الروض نضر كما قد كنت تعهده  
أتى على الروض حتى جف من ظمأ  
تسر بالعيد أقواما أولى شمم

ومطلب العرب المهضوم مردود  
فداحة وبروع القوم تهديد  
وما لأبعاد هذا الحزن تحديد  
ولا لبلبله الصيداح تغريد  
يوم من الدهر يشوى الثبت صيخود  
أيامها البيض لا أيامها السود

اذهب فإن قلوب الشعب دامية  
وكيف تفتح أبواب السرور لها  
كنا نرحب بالأعياد عائدة  
لا وحدة في النظام اليوم تجمعهم  
وما بكل بلاد العرب من جذل  
قد كان وجهك بساما لناظره  
أظافر الدهر غاصت فيه عابثة  
الدهر يعطى سرورا ثم يمنعه

ما إن لها من سلو فيك يا عيد  
وفي يد غير أيديك المقاليد  
لو كان في العيد للأحزان تبديد  
فإن قومي عباديد عباديد  
ولا بكل بلاد العرب مسعود  
واليوم يملأ منك الوجه تجعيد  
ففيه من كل ظفر منه أخدود  
وذلكم منه لا بنخل ولا جود

\* \* \*

ما كان قبلا لهذا الشعب من خطل  
إن السهام وأن كانت منصلة  
ذم المدافع للأسماع قارعة  
نريد ظلا يقينا الحر من شجر  
لم يبق عندي بغير أنشعر من ولع  
وما الحياة سوى نار مؤججة  
وإنها لاصطدامات بمنحدر  
قد علمتني تجاربي التي سبقت  
أيام ذى العز أعياد برمتها  
تجرد العود لما هيض من ورق  
لم أستمع ردحا للحق من نبا  
يا حق إنك من كل الذين بهم  
للحق حام وفي الأيام متسع

حتى اطمأن فغرته المواعيد  
يعوزها منه عند الرمي تسديد  
كما تصادم جلهود وجلهود  
لم يبق أخضر منه اليوم أملود  
وإنما الشعر أغرود وأغرود  
يثيرها في دم الشبان بارود  
كما تصادم بالسيل الجلاميد  
أن ليس يظفر بالحاجات رعديد  
أما الدليل فهذا ما له عيد  
فهل ستصبر حتى يورق العود  
حتى تظنيت أن الحق ملحود  
عشت يد الحيف في الأقطار منشود  
ألست تؤمن أن الله موجود

## نكبة الفلاح (١)

(١)

قد طغى يطفح الفرات وعبا يملأ الأنفس الجريئة رعبا  
ساعة ثم طبق الأرض ماءا فكأن الأتى قد جاء وثبا  
أن ذاك الذى حسبناه نهراضية — أمسى اليوم كالبحر رعبا  
غمر الجانيين منه وأنجى يتسامى إلى التلاع فارى  
أغرق الزرع والمسكن والشاء مطافيل والبساتين غلبا  
كذبتنا الحياة فى كل شىء ولعل الآمال أكثر كذبا

(٢)

جاء غضبان بادية الأزباد عابثا بالاسداد والأرصاد  
ولقد مدته على ما أتاه كثرة للتلوج فى الأطواد  
هبت الأمهات فى الذعر ليلا يتعثرن فيه بالأولاد

(٣)

قد تمدى الفرات فى طغيانه وأبى إلا قسوة فى افتتانه  
فاض حتى حسبته وهو يسطو ملكا يستبد فى سلطانه  
غمر القاع ثم عب فأنجى يعتدى مزبدا على كشيانه  
أتراه مصارعا يتحدى أم تراه قد هاج من أشجانه  
ذاهبا بالشياه يحرفها جرفا وبالزرع وهو فى ريعانه  
إنه فى كتساحه الزرع يعشو سل روح الفلاح من جثمانه  
لعظيم طوفانه وعظيم ما أصاب الفلاح من طوفانه  
ولقد كان قبل ذلك يأتى حاملا للسلام فى أردانه

(٤)

قد طحا بالفلاح يقسو الفرات وله كانت منه تآنى الحياة

وأصابته في النهاية منه نكبات وراءها نكبات  
 أمهات لهن تدعو صفاراً وصفار تدعوهم الأمهات  
 ولقد أصبحوا جميعاً بلا مأوى وباتوا وهم جياح عراة  
 ذهب الزرع عند إدراكه والبيت ثم الشياه والبقرات  
 كل هذا في ليلة هطلت فيها السواحي واشتدت الظلمات  
 إنما هذه الطبيعة قيد والنواميس كلها حلقات

(٥)

القرى قد تهدمت والبيوت ثم عز المأوى وعز القوت  
 فتيات يعولن خوف المنايا ومنايا تطوف وهي سكوت  
 بالاتي الفلاح فوجيء ليلا فهو في ظهر ربوة مبهوت  
 ينظر السيل وهو ضخم خيف يتنزي كأنه عفريت  
 أمل ذاهب وجهد مضاع وشياه غرقى وشمل شتيت  
 ليت شعري هل الطبيعة غضبي قد قضت في أبنائها أن يموتوا

(٦)

جلل ما ألم بالفلاح جاءه السيل بغته وهو طاح  
 إنه في ليل من ألهم داج قد خلا صبحه من الأوضاح  
 ظل في بهرة النهار مقبياً ماله عنها ساعة من براح  
 أفسدت عيشه صروف الليالي هل لما أفسدته من اصلاح  
 كلما ازداد الفقر في بلد قلت من اليأس قيمة الأرواح

(٧)

ارأني يا سماء بالمفجوع بضراعاته وتلك الدموع  
 بأس ينخز الأسي قلبه كل لياليه ليلة الملسوع

دمعــــــــــــــــتى (١)

أنت ما أن تحففين مصابى دمعتى فارجعى على الأعقاب  
 أنت لا تدريين عنى دأى أنت لا تصلحين منه خرابى  
 أنت لا تنجدينى فى شقائى أنت لا تنقذينى من عذابى  
 أنت لا تدفعين وطأة شيبى أنت لا ترجعين عهد شبابى  
 أنت لا تقدرين أن تهينى راحة أو تسكنى أعصابى  
 إنما أنت قطرة ستبلين إذا سلت بقعة من ثيابى  
 أو تضعين بين لحيتى البيضاء أو تنضين فوق التراب  
 وسيمتصك الرغام لدى أول مس كظامى ذى لهاب  
 ولقد تسقطين من حرف عيني كالندى فوق كلىء معشاب

\* \* \*

ارجعى فالحياة ليست تساوى ان تخرى من حالق كالشهاب  
 لا تخرى وإن قضى أن تخرى سبب قاهر من الأسباب  
 ان نفسى لا ترتضى أن تهونى لشجونى وان ملان إهابى  
 ليس محمودا ان تقيمى طويلا بين حملاق العين والأهداب  
 يا ابنة الهم ان غرفتك القلب فلا تخرجى إلى الأبواب

\* \* \*

دمعتى لا تعولى فى رزاياك على وعد دهرك الكذاب  
 فارجعى فى مهل إلى القلب منى أنت لا تخلقين بالتسكاب  
 أتريدن من مقرك فى نفسى فرارا ينجيك من حر مابى  
 أنا لم أسأل العيون بكاء لتكونى عن السؤال جوانى  
 ليس من عار فى الرجوع على من ضل فى سيره طريق الصواب  
 واذا ما هبطت بالرغم عنى طال يادمعتى عليك عتابى  
 اتى ان بكيت أبكى بشعرى ولقد أهديه إلى الاحقصاب

كل بيت منه إذا عصروه دمعة ثرة على الآداب

\* \* \*

بين شعري وما يجيش بصدري من شعور وشائج الانساب  
أنا عنه محدث وهو غنى وكلانا في القول غير محاب  
وعسى أن يبدت شعري شعوري وعسى أن ينوب شعري مناب

### المرأة والرجل (١)

في الغرب حيث كلا الجنسين يشتغل لا يفضل المرأة المقدامة الرجل  
كلا القرينين معتر بصاحبه عليه إن نال منه العجز يتكل  
وكل جنس له نقص بمفرده أما الحياة فبالجنسين تكتمل  
بيت نظيف وأولاد قد ازدهروا كأنهم زهر في الروض تنتقل  
والبيت فيه نظام حين تبصره وإنه لنظام ما به خلل  
تبقى المودة حتى الموت بينهما فما هنالك شأن ولا ملل  
وإن تعددت الأسباب والسبل وإذا قضى بالطلاق الكره والملل  
وقد يطلقها أو قد تطلقه

\* \* \*

أما العراق ففيه الأمر يختلف فمن تزوج لا عن خبرة سبقت  
وقد يعالجهما لا يزاله حتى يموت وجرحاً ليس يندمل  
وقد يطلقها في حانة ثملا وليس تدري لماذا طلق الثمل  
في البيت بعد وفاق في الهوى دعة وفيه بعد خلاف في الهوى جدل  
أعز فتاتك واخطب عن معاشرة بريئة ولأم الناقد الهبل

\* \* \*



كم قد تزوج ذو الستين يافعة  
يقضى لباناته منها إلى أجل  
ولا يبالي بحبل الود بعدئذ  
تزوجت وهي لا تدري لشقوتها  
يسبها لا لذنب ثم يركلها  
وبعد ذلك يعدو كأنعام إلى  
يروى لهم كيف أبكاها وآلمها  
ولم تسكن أربع يشبعن نهمته  
لا تحسبن كل من قد سار مهتديا  
القوم إن واجهوا أعداءهم جنبوا  
إلى السماء العيون النجل شاخصة  
وددت من كل قلبي غير محتشع  
فاسأل الله تقديراً يغير ما  
جاؤوا قبيحاً وسبوا من يعارضهم  
تلك الشتائم في الأعراض جارحة  
الغرب والشرق طول الدهر بينهما  
بين الشقيقين من أجل البقاء وغي  
والفرق بينهما في كل ناحية  
ولا تكافؤ فيما شب بينهما  
هذا على نفسه تلقاه معتمداً  
هذا له من نشاط ما يقدمه

\* \* \*

تبقى الحياة على الارزاء طيبة  
لو كنت أشهد بعض العز في وطني  
مادامت النفس بالآمال تتصل  
ما كنت عن وطني المحبوب أرتحل

ماذا يشبط في بغداد معترمي ( وليس لي ناقة فيها ولا جمل )  
ليلي الحقيقة في حلي ومرتحلي هي الخيال، هي السلوى، هي الأمل  
ما في هواي لليلي من مصانعة أليس تأمرني ليلي وأمثل

اندفاعات (١)

ياموطننا قد ذبت فيه غراما  
لولاك لم أك في الوجود ولم أشم  
أفديك ياوطن نشأت بأرضه  
ما كنت إلا روضة مطلولة  
غازلت منها في الغدو بنفسجا  
وسعدت العب فوق أرضك ناشئا  
لك قد غضبت وفي رضاك حملت أن  
وسمعت من ناس شرير طبعهم  
لي فيك يا وطني الذي قد ملني  
أما المنى فقد انتهت ومضاتها



من ثقفته الحسادثات ملية  
كبر الألى من طيب أعراق لهم  
أنا للأفاعي غير مكترث وإن  
بالذل لا أرضى وإن سلمت به  
حي الذين إذا الهوان أصابهم  
مافي المساواة التي نشدو بها  
يا قومنا لا نفع في أحلامكم

يلقي الخطوب بصدرة بساما  
كانوا اذا لؤم السفية كراما  
تركت بنفسى ناهبا آلاما  
روحي وارضى بالحمام زواما  
تخذوا الابهاء من الهوان عصاما  
ان الوهاد تطاول الآكاما  
نخذوا الحقائق وانبدوا الأحلاما

أخشى عليكم فى الحياة تدهورا  
جهل الذين على قديم عولوا  
وأشد خلق الله جهلا أمة  
فيه الرؤوس تقبل الأقداما  
إن الزمان يغير الأحكاما  
نقضت فظنت نقضها ابراما

\* \* \*

أنى لاربا أن أكون مجنة  
ولقد يريد الظالمون لنفسهم  
وتشد آراء فكم من مجرم  
ولقد يغالى المرء فى آرائه  
ولربما أطرى افاعيلا له  
لايستطيع بناء مجد صادق  
هل يخرق العادات فيما جاءه  
أإذا نجحت حمدت نفسك مطريا  
فى الحادثات ولا أكون حساما  
بالظلم من شر يلم سلاما  
ما ان يرى اجرامه إجراما  
حتى يثير عدواة وخصاما  
كانت إذا استقرأتها آثاما  
من لا يكون لكاذب هداما  
الا جرىء لا يخاف ملاما  
وإذا فشلت تعاتب الأياما

\* \* \*

إن الحياة وغى وقد ينبو بها  
ولرب حرب تحتفى أبطالها  
ذم التعصب فى الجدل فانه  
ما أتت إلا ذرة منسية  
كون تحركه نواميس له  
تشكو به الأيام مثلك أسرها  
فيه الشמוש كثيرة فمن الذى  
سيف الشجاع ولا يكون كهاما  
تحت الستار ولا تثير قتاما  
سقم يجر وراءه اسقاما  
فى بقعة من عالم يترامى  
كانت له منذ القديم لزاما  
فمن السخافة لومك الأياما  
فى البدء أضرم نارها اضراما

\* \* \*

من يحسب الأوهام منه حقائقا  
أو كان من داء به يصدى فقد  
لاينكر الحق المبين سوى امرىء  
يجد الحقائق كلها أوهاما  
يرد الخضم ولا يبيل أواما  
يعمى وشر منه من يتعمى

ولقد يكون الفوز حلفا للآلى  
غمدوا السيوف وجردوا الأقالما  
كم ريشة في كف أروع بددت  
جيشا تدجج بالحديد لهاما

\* \* \*

ظن ابن آوى أنه أسد الشرى  
حتى اذا لقي الهزير تحامى  
لا تسخرون فلا بن آوى عذره  
ان لا يكون القصور الضرغاما

\* \* \*

ولقد جعلت لى الطبيعة قدوة  
وتخذت منها فى الحياة اماما  
ما أن أروم وأن زجتنى رغبة  
ماليس يمكن أن يكون مراما  
السيل اما عب مندفعا فلا  
يدع الوهاد ويخمر الآكاما

\* \* \*

ولقد أقول الشعر منفعلا به  
ولقد أنبه بالقريض نياما  
بسمت بنات الشعر حين شبين لى  
فقطمتهن فما أردن فطاما  
أسنى على الادب الذى يبغون أن  
يكسوه من عصر خلا اهداما  
أخذت تنغص راحتى ضوضاؤهم  
من غير أن يلقى الجدال نظاما  
فوددت لو أن إن الذين تجادلوا  
جعلوا الوفاق على الصواب ختاما  
أنا لا أحب سوى مكان هادى  
أما الزحام فلا أريد زحاما

## اسمحوالى (١)

قالها لما تار عليه المتعصبون على نشر قصيدته

« ثورة فى الجحيم »

ألا فاسمحوالى أن أقول موضحاً      لما بيننا يا أهل بغداد من لبس  
فان تمنهونى أن أفوه بججتى      فكيف أجيبونى أذافع عن نفسى  
فى الجلد والعظم

نظرت فساكن الحب أول ماجنى      على وكان الدمع من مقلتى يهيم  
سرى من فؤادى نافذاً فى حشاشتى      إلى أن مشى فى الجلد منى والعظم  
لا تسكونى مغرورة

أنا يا شمس ذرة فوق أرض      هى فى سيرها عليك تطوف  
لا تسكونى مغرورة إنما مثلك فى      أجواز الفضاء ألوف

## كأنها تبسم

جميلة فى صفحات الليل هذى الأنجم  
كأنها فى وجه من يبصرها تبسم

## استأصلوه وقلوه (٢)

خافوا لسان أخى الشعر الحر فاستأصلوه  
وبعد ما استأصلوه من حلقة قبلوه

(١) الأوشال : ص ٢٣٤

(٢) الأوشال : ص ٢٣٥

## المختار من نثره

(١) التجديد في الشعر — من مقدمة ديوانه الأوشال :

وأما التجديد فهو أن ينظم الشاعر عن شعور عصرى صادق يختلج في نفسه لا عن تقليد ، وذلك ما كان يفعله شعراء الجاهلية ، وإن كان شعورهم محدوداً ، فالجديد موجود في القديم وفي الحديث إذا لم يسبقه أحد إليه . والأذواق الراقية هي التي تستحق أن تكون حكماً في الشعر . ورب ذوق منحط لا يستحب من الشعر إلا ما كان غثاً بارداً يناسب مستواه فهذا لا يؤخذ برأى صاحبه .

كأن فيها المعاني من بروذتها موتى عليها من الألفاظ أكفان  
ومنهم من لا يحسب من الشعر إلا ما كان مصوراً للعاطفة ، وهذا تضيق  
لمجال الشعر ، بل الشعر كل ما هنر السامع سواء كان عاطفة أو وصفاً أو فلسفة ،  
وأروع الشعر في الغرب اليوم ما بنى على العلم . ولم يشتهر الخيام والمتنبي  
والمعري إلا بشعرهم الفلسفي وهو الذي يجرى على الألسنة كالأمثال .  
والشعر في القصيدة اندفاعات في الفكر كالأموج يعقب بعضها بعضاً ،  
فاستحب أن لا يغير الشاعر منها إلا ما كانت فيه صلة ضعيفة فذلك  
أقرب إلى الطبيعة .

ورب شعر يجعله صاحبه نموذجاً للتجديد وهو إلى التقليد أقرب ، وأرى  
أكثر الذين يحسبون أنهم مجددون يخطئون الصواب في الألفاظ وتراكيبها  
وعذرهم أنهم لا يريدون التقيد بالألفاظ لأن ذلك يضيق عليهم مجال  
المعاني والمعاني هي المطلوبة ، لا يدرون أن الألفاظ إذا كانت مغلوطة فيها  
فهي لا تؤدى المعاني المقصودة ، وهل تستخرج المعاني إلا من الألفاظ .

إذا ما نظمت الشعر فانظم مصورا شعورك واستعمل من اللفظ أنقاه  
 ففي الشعر للمعنى إلى اللفظ حاجة إذا اختل لفظ الشعر يخل معناه  
 والشاعر لا يكون شاعراً إلا إذا توفرت فيه شروط ثلاثة : الأول أن  
 يكون له استعداد ذاتي للشعر ، والثاني أن تميز مادته في اللغة والعلم ، والثالث  
 أن يكون قد مارسه طويلاً . والسبب في أن أكثر الشباب تعوزه صحة التعبير  
 وسلامة اللفظ هو كونه غير متمسك في اللغة أو قليل الممارسة للشعر ،  
 والتوسع في اللغة والممارسة المجدية يحتاجان إلى زمان طويل فلا يبلغ الحاجة  
 منهما الشاب ، إلا بعد أن يكون قد فارق شبابه وقليل أولئك الشباب الذين  
 تكون خطواتهم واسعة توصلهم إلى النهايات قبل أن يفارقوا شبابهم .

( ب ) كلمة في الشعر : من مقدمة اللباب :

ما أكثر اختلاف المتأدبين في الشعر وفي الجيد منه ، ولكل أحد ذراع  
 يقيسه بها ، فان وافقها عده حسناً ، وإن خالفها ظنه سيئاً . ولما كان مستوى  
 الأكثرين عندنا في الأدب منحطاً ، لم يرضوا إلا ما وافق مقاييسهم من  
 الأميال الرجعية . وهناك من لا يعجبه من الشعر إلا ما كان في ألفاظه  
 وأسلوبه تقليد لشعراء الجاهلية أو صدر الإسلام ، وإن كانت معانيه سخيفة  
 لا صلة لها بالشعور العصري . ومن لا يرضيه إلا ما كان في معانيه تقليد  
 لشعراء العرب وإن كانت ألفاظه سقيمة وتراكيبه ركيكة . وبين أولئك  
 وهؤلاء نفر قليل عددهم ، قوى حججهم فضلوا ما جمع إلى حسن الألفاظ  
 ومتانة التركيب شعوراً عصرياً يوائم ثقافة هذا العصر وأبنائه المؤمنين  
 بتطوره ، وهؤلاء هم في الحقيقة المجددون .

أما التقليد فهو ذميم سواء كان تقليداً لشعراء العرب الأقدمين أو لشعراء  
 الغرب المحدثين . فان لكل أمة شعوراً لا يتفق في الغالب وشعوراً أمة أخرى .  
 قد فرقت بينهما سنة الوراثة في أجيال بعد أجيال كما أن الموسيقى  
 عندهما لا تتفق .

والجديد من الشعر هو ما كان مشبعا بالشعور العصرى ، وكان لذلك الشعور تأثير فى شعور الآخرين يهيجه فيهم كأنه الكهرباء . وكانت ألفاظه بمثابة الأسلاك الموصلة لذلك الكهرباء مستوفية لجمال اللغة وموسيقى الوزن سواء كان من أوزان الخليل أو غيرها . ولما كان التقليد تكرارا لشعور هو لغير صاحبه ، وكانت المبالغة ضربا من الكذب لاصلة لها بالشعور ، كانا وخيمين لا يهضمهما العصر الحاضر .

وأحسن الشعر فى نظرى ما استند إلى الحقائق أكثر من العواطف والخيال البعيدين عنها ، فكانت حصاة العقل فيه أكثر من حصتها . وفى الشعر القديم ولاسيما شعر العواطف منه ، كثير من الجيد الخالد ولكن تقليده اليوم غير حميد ، فهو صدى لصوت قد تقدمه فلا خير فيه . والفرق بين الشعورين القديم والجديد أن الأول ضيق لضيق معارف أصحابه والثانى متسع لسعة معارف أهله . ومن هنا تعرف أن ما يطلب من الشاعر العصرى أكثر مما يطلب من المتقدمين ، وأن ما يرفع هذا غير ما يرفع ذلك وإن كان كل منهما صادقا فى شعوره .

وللشاعر أن يجمع فى بعض قصيدة أكثر من مطلب ، بشرط أن يكون بين مطالبها صلة تربط حلقاتها المتعددة وأحسب أن هذا أقرب إلى طبيعة التفكير أو الاحساس فانهما لا يأتیان إلا فى صورة أمواج هى فورات النفس أو ثوراتها كل يستقل منها عن الأخرى ، وتكون القصيدة حينئذ أشبه بياقة من مختلف الأزهار مع تناسق فى ألوانها .

وقد يختلف ما يشعر به شاعر عما يشعر به آخرون فى موضوع واحد ، فتقوم عليه قيامة هؤلاء ، ينقدونه رامين إياه بالسفه فى الرأى لا لشيء غير أنه شعر بما لم يشعروا به أو نظم فى طريقة لم يالفوها ، وهو بالإكبار أولى لأنه مبتكر أتى بما هو جديد . وهكذا كل مجدد هو غرض لسهام مخالفه أو حاسديه وقد يسليه عليه أن العاقبة له .



## الفهرس

الصفحة	
١	مقدمة : ... ..
١٤ - ١	الفصل الأول : حياة الزهاوى وشخصيته ... ..
٢٦ - ١٥	الفصل الثانى : الشعر عنده . ... ..
٥٧ - ٢٧	الفصل الثالث : فنون شعره . ... ..
٤٣ - ٢٩	شعره السياسى ... ..
٥٧ - ٤٤	شعره الاجتماعى ... ..
٦٧ - ٥٨	الفصل الرابع : ثورة فى الجحيم ... ..
٧١ - ٦٨	الفصل الخامس : آثاره ومصادر دراسته ... ..
١٢٧ - ٧٣	المختار من شعره ... ..
١٤٠ - ١٣٨	المختار من نثره ... ..

T

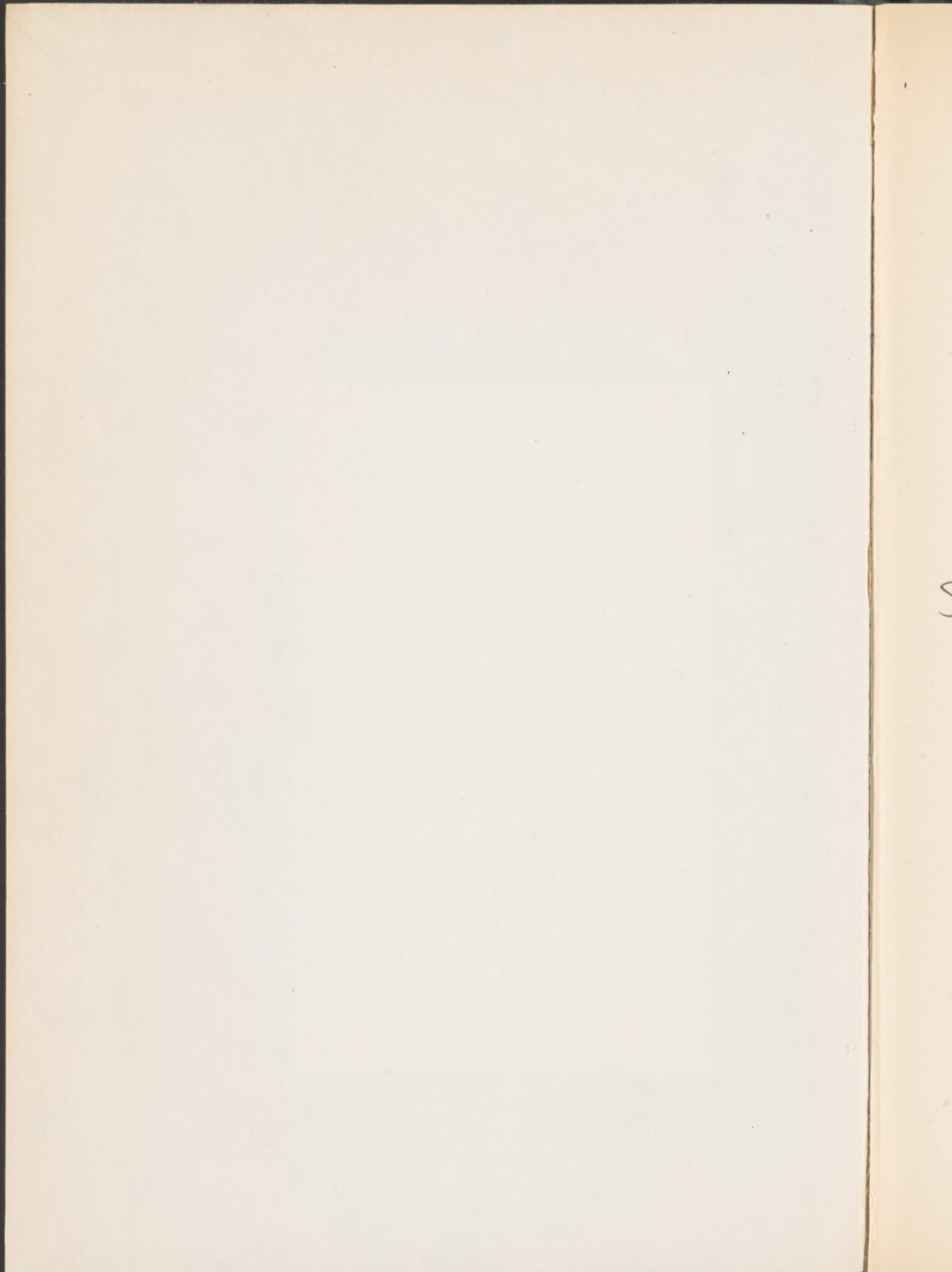
S

Back

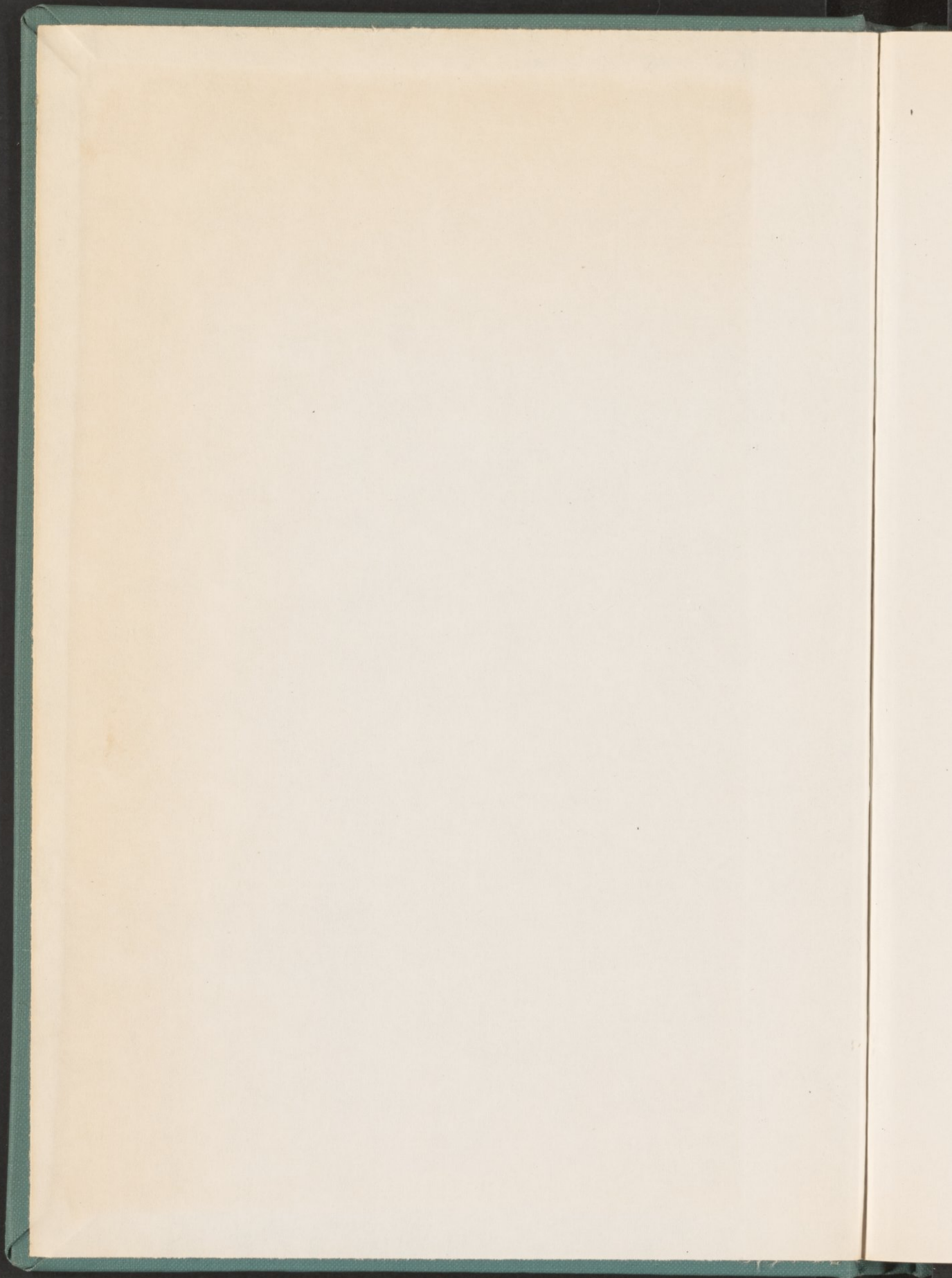
PB-39669-SB  
75-33T  
CC

6297

B







NYU - BOBST



31142 01778 6859

PJ7876.A35 Z7

Mu'ā'ẓar